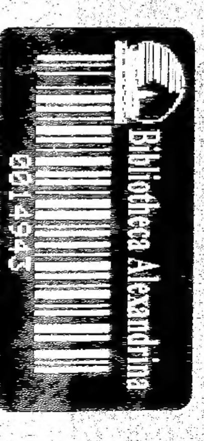
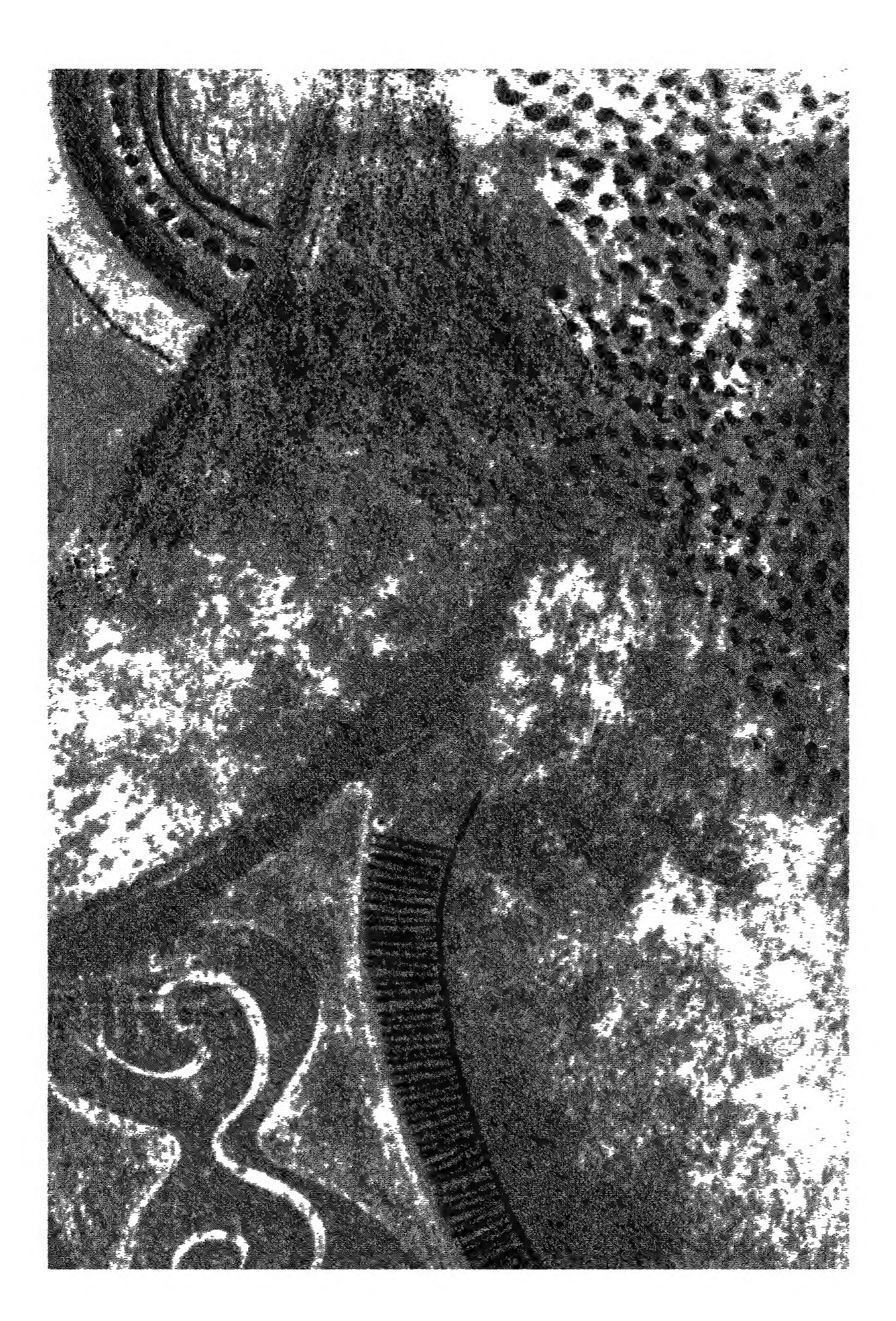

Bibliotheca Alexandrina
0014945





المدخل
إلى
تاريخ السودان القديم

تأليف

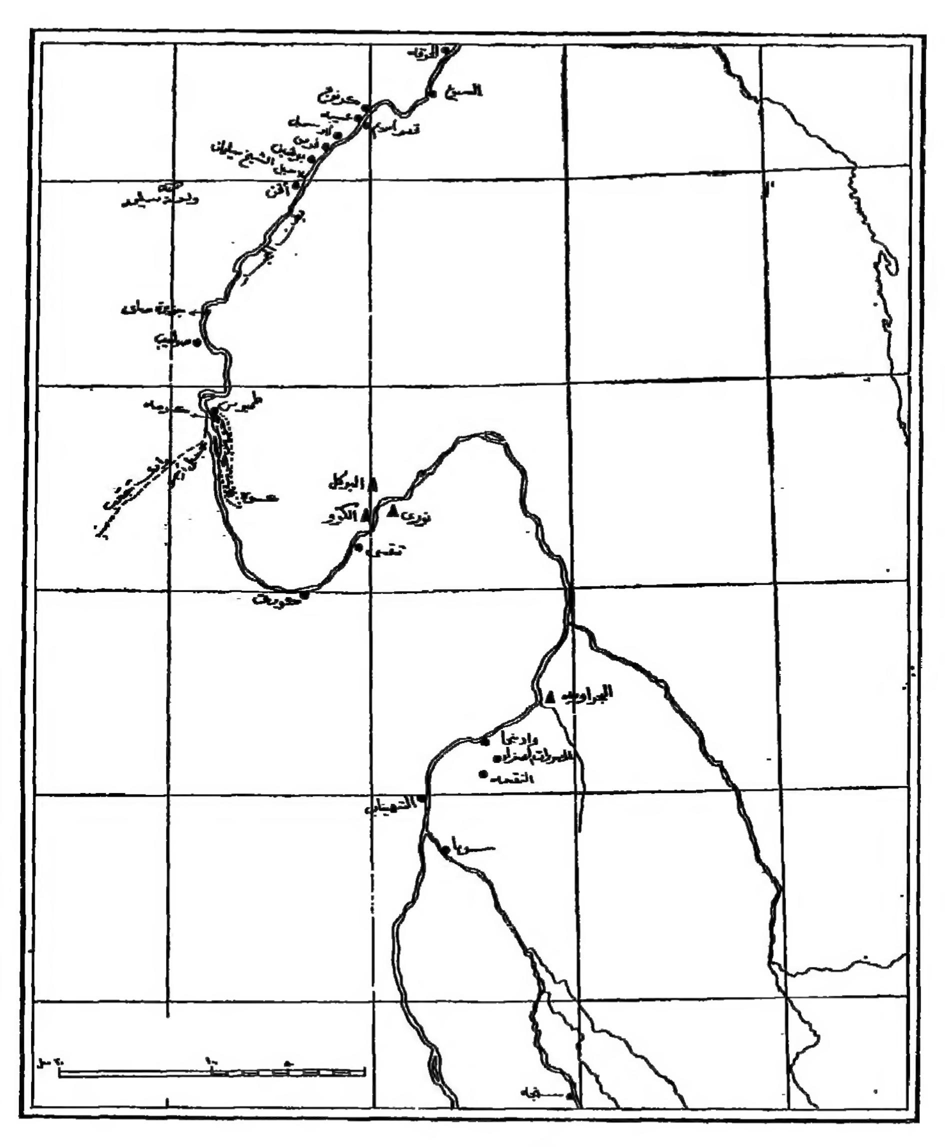
دكتور محمد ابراهيم بكر

مدرس التاريخ القديم بجامعة القاهرة

فرع الخرطوم



النيل العظيم — شريان الحياة



المواقع الأثرية فى السودان القديم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

أخذت الآثار السودانية فى المدة الأخيرة تجتذب اهتماماً متزايداً وبخاصة أثر الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة من مياه السد العالى ، ثم إمتد نشاط بعثات التنقيب عن الآثار إلى مناطق السودان المختلفة ، وفتحت الأعين على ثروة أثرية هائلة ، وبدأت تتضح قيمة تاريخ السودان من خلال آثاره القديمة ، وقيمة الدور الذى لعبه السودان فى تاريخ الوادى وماساهم به فى الدراما الإنسانية فى العالم القديم .

ولو تصفحنا ما كتب عن تاريخ السودان القديم ، تلاحظ إغفالا يكاد يكون تاماً للعصور القديمة التى مر بها تاريخ السودان — وهى المدة التى تنتهى بفتوحات الإسكندر الأكبر فى الشرق .

ومنذ عام ١٩٥٧ عكفت على دراسة آثار السودان وحضارتها القديمة أثناء دراستى بالقاهرة وألمانيا ، كما أتاحت لى فترة إقامتى فى السودان ، منذ عام ١٩٦٤ محاضراً للتاريخ القديم بفرع جامعة القاهرة بالخرطوم فرصة دراسة تلك الآثار عن كثب ، والإتصال برجال الآثار السودانيين . وكانت حصيلة ذلك نشر بعض الأبحاث العلمية فى هذا المجال .

وسيراً على نفس النهج ، ومساهمة فى ملء بعض الفراغ بالنسبة لكل دارس أو مهتم بمعرفة تاريخ السودان القديم ، وتقديراً للدور الذى تقوم به جمهورية السودان فى المحيط العالمى ، أتقدم بهذا البحث الذى أحاول بواسطته أن ألقى ضوءاً على الأساس الحضارى الذى قامت عليه حضارات السودان القديم ، وغايتى القرب من الحقيقة ، ووسيلتى إليها أسلوب علمى بعيد عن الهوى بقدر ما تسمح به النفس البشرية .

ولا يفوتنى أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذى الدكتور أحمد بدوى الذى غرس فينا حب الآثار والتاريخ القديم . وإلى أستاذى المرحوم هيرمان كيس ، وإلى أستاذى فرتز هنتزا فى برلين — وهو الذى وجهنى وجهة الدراسات السودانية القديمة ، وإلى الزملاء الكرام بمصلحتى الآثار السودانية والمصرية ، وإلى زملائى بجامعة القاهرة ، وإلى كل من ساعد فى إخراج هذا البحث .

محمد إبراهيم بكر

مقـــدمة

فى مطلع حديثنا عن التاريخ الحضارى للسودان فى العصور القديمة لاجدال فى أن الاتفاق على التسميات المناسبة هو المفتاح المناسب للدخول فى هـذا الموضوع الذى يتناول التاريخ الوطنى للسودان فى فترة من أهم الفترات لجزء عزيز من وادى النيل العريق .

فالمنطقة التى ازدهرت فى أرجائها حضارة السودان القديم قد حملت خلال تاريخها الطويل عدة تسميات وقامت فى مناطقها الفسيحة دويلات ودول مختلفة ، وتوالت عليها هجرات عديدة فى فترات متعاقبة من التاريخ غيرت إلى حد ما من طبيعة سـكانها . كما كانت منطقة النوبة بموقعها الجغرافى الفريد معبراً للعقائد والأفـكار التى تصارعت فيها فخلقت دراما قلما توجد على أية بقعة من بقاع العالم ، أخرجها التاريخ على مسرح البـلاد وتبودلت فيها الأدوار ، كما اشترك أهل البلاد اشتراكاً فعليا فى تشكيل ملامح تاريخهم فأثروا فى الأحداث وتأثروا بها وأفسحوا لأيامهم مكاناً رحباً فى سجل تاريخ الامم ذات الحضارة العريقة .

فاذا ما تصفحنا المؤلفات التى كتبت عن تاريخ السودان القديم قابلتنا اصطلاحات وأسماء غير محددة تحتمل أكثر من معنى ، ثم أنها لا تنطبق تماما على المسميات :

مثلا : اسم النوبة نجده يطلق على المنطقة الواقعة جنوبى الحدود السياسية للجمهورية العربية المتحدة بلا تحديد واضح ، مع العلم أن الحدود السياسية لا تتفق مع التوزيع الاثنولوجى للمنطقة ، ثم أن هذا الاسم نفسه ينقسم بدوره إلى قسمين :

١ — النوبة السفلى : ويطلق على المنطقة التى تمتد تقريبا من الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة حتى منطقة الشلال الثانى على النيل .

٢ — النوبة العليا : وهى تمتد إلى الجنوب من الشلال الثانى حتى دنقله وربما إلى أبعد من ذلك جنوبا .

وسكان المنطقة المذكورة الذين تعودنا أن نسميهم النوبيين ، لا تنطبق هذه التسمية عليهم إلا منذ القرن الثالث الميلادى أى بعد وصول هجرات النوبيين واستيطانهم بالمنطقة .

وفى العالم القديم أطلق على الجزء الشمالى للمنطقة اسم واوات ، والجزء الجنوبى حمل اسم كوش ثم طغى اسم كوش فأضحى علما على المنطقة كلها بما فى ذلك النوبة وشمال السودان . وهكذا ظهر اسم كوش فى وثائق العالم القديم المصرية منها والآشورية والاثيوبية . وينبغى ألا يغيب عن أذهاننا أن اصطلاح كوشى وكوشية إنما يطلق أيضا على مجموعة اللغات والشعوب السائدة حاليا بأثيوبيا .

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن الكثير من المؤرخين جانبهم الصواب حين أطلقوا على البيت الحاكم الذى قام وازدهرت حضارة البلاد فى عهده فى نفس المنطقة خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد اسم الاثيوبيين ، أولئك الملوك الذين دخلوا مصر أيام عصرها المتأخر واعتبروا مؤسسين للأسرة الخامسة والعشرين فيها ، وتقول جانبهم الصواب لأن لفظ إثيوبيا أو الإثيوبيين إنما هى التسمية الرسمية الحالية للحبشة وشعبها ، والأصل فيها أن كلمة Aithiops الإغريقية ومعناها ذو الوجه الأسود ، إنما قصد بها الاغريق كل الشعوب ذوات البشرة السوداء بلا تحديد ، تماماً كما حدث بالنسبة للمصادر العربية القديمة فيما بعد حين أطلقت اسم السودان والسودانيين على كل المناطق والشعوب الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى وذلك فى القرون الوسطى .

ومن أجل كل ذلك ، ومن أجل تبسيط الأمور سوف نحاول أن نجعل اسم السودان والسودانيين يحل محل أغلب التسميات التى أطلقت على المنطقة وعلى أهلها . ومع الأخذ فى الاعتبار أن المنطقة كغيرها من المناطق ذوات الحضارات القديمة عامة ، لم تسلم من الهجرات العديدة التى تسببت بدرجة أو بأخرى فى تغيير عناصر سكانها . ومع العلم أن إطار بحثنا لن يتخطى

النواحى التاريخيـة والحضارية تاركاً الناحيـــة البشرية للمتخصصين فى دراستها .

وليس سراً أن محاولتنا فى هذا المضمار لاتعدو أن تكون طلعة استكشافية رائدة لرسم صورة تقرب من الحقيقة لطبيعة الأحداث ونوع الحضارات التى توالت على منطقة النوبة وشمال السودان فى العهود القديمـة ، تماما كما تحدد الصور الجوية لبعض المناطق الأثرية الخطوط العامة للمدن والعمائر القديمة والتى يتعذر رؤيتها أحياناً عن كثب لكى تمهد الطريق لبعثات الحفر والتنقيب عن تلك الحضارات الغابرة .

ولا يغيب عن الأذهان ما لهذه الدراسة من أهمية بالنسبة للتاريخ الوطنى لدولة السودان .

ولسوف لا نخرج فى بحثنا عن الإطار الذى حددناه بالفترة ما بين ظهور الحضارات الحجرية وزمن الأسرة الخامسة والعشرين السودانية التى حكمت وادى النيل قرابة قرناً من الزمان كان السودان خلالها يمثل قوة عالميـة معترف بها (٧٥٠ — ٦٥٤ ق . م .) .

أوائل الباحثين :

١ — James Bruce : كان أول الرحالة المحدثين ، استطاع أن يتعرف على حدود جزيرة مروى القديمة تلك التى يحدها نهر العطبرة والنيل الأزرق والنيل الرئيسى وذلك فى خريف عام ١٧٧٢ ، وذكر أنه شاهد هناك آثاراً قديمة كتلك التى رآها فى أكسوم ومر بواد بنجا Wad Ban Naga حيث شاهد آثار معابد قديمة : Travels to discover the source of the Nile, 6 vols. Edinburgh 1790

٢ — John Lewis Burckhardt : هو ثانى كبار الرحالة الأوروبيين فى العصر الحديث سافر من الدامر إلى شندى فى أبريل عام ١٨١٤ وذكر أنه شاهد آثاراً على هيئة تلال من الأحجار والطوب الأحمر وأساسات أبنية ،

ولكنه لم يتمكن من مشاهدتها عن قرب ، ولقد شبهها بآثار مدينة طيبة المصرية وعند عودته من شندى شاهد آثاراً بالقرب من قرية Hassa وعند كبوشية ترك بورخارد النهر وبذلك ضاعت منه الفرصة لزيارة أهرام مروى . وأصدر كتاباً بعنوان : Travels in Nubia, London 1822.

٣ — Frédéric Cailliaud : ولد فى Nantes بفرنسا عام ١٧٨٧ وتوفى عام ١٨٦٩ ، يعتبر مؤسس الآثار السودانية على الإطلاق ، حضر إلى مصر عام ١٨١٥ ودخل فى خدمة محمد على باشا الذى أرسله إلى البحر الأحمر والواحات فى رحلات استكشافية ،وفى عام ١٨٢٠ سمح له الباشا بأن يصحب الجيش المصرى إلى السودان والواقع أن اكتشافاته قد تمت وهو مرافق لتلك الحملة ،وبعدها عاد إلى فرنسا حيث نشر كتابه «رحلة إلى مروى» Voyage à Meroé عام ١٨٢٦ وظل فى مدينته القديمة حيث عمل أميناً لمتحفها إلى أن توفى عام ١٨٦٩ . ففى أبريل عام ١٨٢١ وصل إلى بربر وبعد أن أغرى الباشا بإمكانية العثور على الذهب أو الأحجار الكريمة أذن له فى زيارة أهرام مروى ومكث هناك أربعة عشر يوماً استطاع خلالها أن يرسم آثار المدينة وأهراماتها. وزار سوبا حيث عثر على تمثال لإحدى الكباش ، وفى طريق عودته زار وسجل آثار واد بنجا Wad Ben Naga فى مارس ١٨٢٢ ، كما شاهد آثار معابد عديدة فى النقعة وسجلها . وبعد ذلك اكتشف آثار « المصورات » وفى طريق عودته إلى شندى عثر على معبد صغير فى «وادى البنات » إلى الشمال من شندى ثم وصل إلى هسا Hassa الذى وصل إليها بورخارد من قبل ، وعثر هناك على بقية لأحد تماثيل الكباش رمز المعبود آمون رع وتعرف على مروى القديمة .

٤ — Hoskins, G. A. : نشر عدة مصورات مع وصف لمدينة مروى القديمة و«المصورات»ولكنه لم يصل إلى النقعة خوفاً من الأسود وقد قام برحلته هذه عام ١٨٣٣ ونشرت نتائجها عام ١٨٣٥ تحت عنوان :

"Travels in Ethiopia above the Second Cataract of the Nile; exhibiting the State of that country and its various inhabitants

under the domination of Mohammed Ali; and illustrating the Antiquities, Arts, and History of the Ancient Kingdom of Meroe.,,

٥ — Ferlini : وهو طبيب إيطالى عين أول الأمر فى سنار ثم فى كردفان وبعدها عاد إلى الخرطوم حيث طلب الاذن من حاكم الخرطوم التركى خورشيد باشا للتنقيب عن الآثار وأثناء تنقيبه عن الكنوز المزعومة دمر عدد من أهرامات مروى عن آخرها :

See Budge, The Egyptian Sudan, vol.I, p. 285 ff.; London 1907

٦ — Heeren نشر نتائج أبحاثه فى كتاب The African Nations مع وصف لآثار الحضارات القديمة فى السودان .

٧ — Richard Lepsius أرسله الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا إلى مصر والسودان وسيناء ، وزار المناطق التى اكتشفها وصورها بيده العالم Cailliaud من قبل، وكان بصحبته نخبة من الفنيين ورغم أن رسوماته وخرائطه لا تتبع الاصول العلمية الحديثة إلا أنها أفضل مما فعله Cailliaud مع العلم أنه لم يسجل أى مكان جديد فى جزيرة مروى . وقد نشر لوحاته فى :

Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai, London 1852.

٨ — E. A. Wallis Budge حضر إلى السودان موفد من قبل المتحف البريطانى عام ١٨٩٧ بصحبة السردار كيتشنر فى بعثة أثرية وقام باجراء حفائر فى أهرامات مروى لفحصها، وفى عام ١٩٠٢ ثم فى عام ١٩٠٥ حضر لجمع مادة أثرية لمتحف الخرطوم . أصدر مجموعة مؤلفات تحت عنوان :

The Egyptian Sudan I,II, its History and Monuments, London 1907.

٩ — J. Garstang قام بعمل حفائر فى العاصمة مروى من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩١٤ ورغم أنه لم ينشر كل نتائج أعماله إلا أنه نشر تقارير مبدئية عن أعمال الحفر فى عام ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤ ، وأخيراً

من ١٩١٤ — ١٩١٦ وذلك فى مجلة Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology وبالاشتراك مع F. Griffith, A. H. Sayce أصدر كتابا تحت عنوان مروى مدينة الاثيوبيين Meroe, The City of the Ethiopians. Oxford

١٠ — وفى الربع الأول من هذا القرن قام رايزنر G. A. Reisner على رأس بعثة بتكليف من جامعة هارفارد — بوسطن . وإلى نتائج حفائره يرجع الفضل فى معرفتنا لتتابع ملوك نبته ومروى وله فى هذا السبيل الكثير من المؤلفات :

1— Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia, Bull. M. F. A., XV (1917) No 89, pp. 25—34.

2— Known and Unknown Kings of Ethiopia, Bull. M. F. A., XVI (1918) No 97, pp. 67—81.

3— The Royal Family of Ethiopia, Bull. M.F.A., XXI(1923). No 124, pp. 12—27.

١١ — كما ظهرت نتائج هامة لحفائر رايزنر مؤخراً قام بنشرها مساعده دنهام D. Dunham فى مجموعته :

The Royal Cemetries of Kush, vol. I, El—Kurru; vol. II, Nuri; vol. III, Decorated Chapels of the Meröitic Pyramids at Meroe and Barkal; vol. IV, Royal Tombs at Meroe and Barkel, Boston, Massachusettes, 1950—7.

١٢ — Vercoutter فركوتى تولى إدارة مصلحة الآثار السودانية وقام بعدة حفائر وأبحاث فى أماكن أثرية كثيرة .

١٣ — وتولى بروفسور هنتزا رئاسة بعثة حفائر معهد الآثار المصرية بجامعة هومبولد ببرلين الشرقية إلى السودان منذ عام ١٩٥٧ . وخلال هذه الفترة أجرى أبحاثا هامة فى النوبة السودانية وفى المنطقة الواقعة بين نهر عطبرة وبين النيل الأزرق المعروفة باسم البطانة ، وتم تسجيل أربعين موقعا

أثريا منها ثلاثة عشر موقعا لم تعرف من قبل . كما أجرت البعثة حفائر فى المصورات كشفت فيها عن معبد الأسد وعن أجزاء كثيرة من المجموعة المعمارية المركبة هناك ، وتولت البعثة مهمة تسجيل الرسوم والنقوش الصخرية من الحدود الشمالية لجمهورية السودان حتى شلال دال وكذلك فى شرق النيل من الموقع "جمى" حتى شلال دال .

كما أن هناك الكثيرين غير هؤلاء ممن أسهموا فى الكشف عن مخلفات الحضارة السودانية القديمة مثل آركل وشينى ومنهم أعلام من السودان أيضا مثل ثابت حسن ثابت وعبد الرحمن آدم وغيره .

الفصل الأول

العصـــور الحجرية

سنبدأ بدراسة تفصيلية لحضارات العصر الحجرى القديم فى السودان . وقبل ذلك يجب أن نوضح أن هذه الفترة بالذات ما زالت الأبحاث فيها فى طور النمو كما أن الحفائر تعطينا كل يوم مادة جـديدة تصحح بعض أفكارنا وتملأ الكثير من الثغرات . وحتى الآن تتفق الأبحاث الأثرية التى تمت فى أنحاء مختلفة من السودان على أن أقدم حضارات السودان الحجرية كونها أقوام من العصر الزنجى من نوع يختلف عن أى نوع موجود حالياً . وقد اكتشف العالم Arkell . (Early Khartoum; Shaheinab; the Old Stone Age in the Anglo - Egyptian Sudan) مخلفات حضارية للعصور الحجرية بأنواعها المختلفة فى مناطق عـديدة من السودان :

أولها : تلك التى تنتمى إلى العصر الحجرى القديم وأهمها ما عثر عليه من أدوات أوضحها ذلك السلاح المعروف بالفأس اليدوية فى المكان المعروف باسم « خور أبو عنجة » Abu Anga ويقع غربى النيل على بعد كيلومتر واحد من مكان إلتقاء النيل الأبيض بالأزرق ، وهناك عـثر على أدوات من العصر الحجرى القديم الأسفل بنوعيه الشيلى والاشولى وهما أقدم أزمنة العصر الحجرى القديم على التوالى . كما عثر على أدوات ترجع إلى تاريخ يسبق ظهور الحضارة الشيلية . وفى مكان آخر يسمى وادى سيرو Wadi Seru غربى النيل أيضاً ، وعلى بعد ٢٤ كم شمالى أمدرمان عثر على أدوات من العصر الأشولى المتأخر ، كما عثر أيضاً على آثار اشولية فى المكان المعروف باسم وادى عفو Wadi Afu ويقع إلى الجنوب من امدرمان بحوالى ٨٠ كم فى غرب النيل الأبيض ، وتعتبر هـذه المنطقة أقصى نقطة فى الجنوب عثر فيها على آثار تنتمى إلى العصر الحجرى القديم ، وذلك حتى حدود السودان فى الجنوب مع أوغندا ، هذا باستثناء بعض الآثار التى عثر عليها على سطح الأرض فى مدينة الفاشر والموجودة حاليا فى متحف أكسفورد بانجلترا ولو أن بعض

العلماء يشك من انتمائها أصلا للفاشر . وبعد ذلك يمكن أن تحدد الأماكن التالية والواقعة إلى الشمال من الشلال السادس والتى عثر فيها على آثار من العصر الحجرى القديم : مثلا فى خور المودى (الذى يلتقى بنهر عطبرة قبل إلتقائه بالنيل بحوالى ١٦ كم) هناك وعلى بعد ٣ كم تقريبا من نقطة إلتقاء الخور مع العطبرة عثر على آثار شيلية واشوليه ، وبالقرب من الشلال الخامس فى وادى الشيخ هلال شمالى الجبل المعروف باسم جبل النخرة ظهرت آثار شيلية وأشولية ، وعلى قمة جبل نورى Nuri جنوبى الشلال الرابع عثر على آثار من الحضارة الشيلية والاشولية ، وبالقرب من تنقسى Tangasi جنوبى نورى أيضا عثر على آثار عبارة عن قطع تمثل السلاح المعروف بالفأس اليدوية ، وهناك أماكن أخرى عديدة ، مثل وادى جعب Ga'ab ويقع بالقرب من دنقلا ثم وادى الخوى Khoui فى شرق النيل ، وفى واوا Wawa عثر على آثار سابقة فى ظهورها للشيلية والأشولية . وفى جزيرة صاى وعبرى Abri حيث عثر على آثار شيلية واشولية . أما المنطقة الممتدة بين عبرى جنوبا وبين الشلال الثانى شمالا أى على امتداد المنطقة الصخرية المعروفة حاليا باسم « بطن الحجر » فلم تمدنا بأية آثار من العصر الحجرى القديم الأسفل ، هذا إذا استثنينا واحة سليمة التى تقع إلى الغرب على مسافة بعيدة من الوادى حيث عثر هناك على آثار شيلية متأخرة ، كما عثر بالقرب من وادى حلفا على مخلفات ترجع إلى العصر الحجرى القديم الأعلى .

أما فيما يتعلق بمنطقة النيل الأزرق فقد عثر عند بلدة سنجه Singa فى مطلع عام ١٩٢٤ على جمجمة لإنسان ، وبعد فحصها تبين إنها تنتمى إلى نوع قديم من إنسان Proto—bushman وتعد من أقدم المخلفات البشرية التى عثر عليها فى السودان على الإطلاق ، وقد دلت الأبحاث على أن ذلك النوع من البشر عاش فى الفترة الأخيرة التى تقع بين العصر الحجرى القديم الأسفل والعصر الحجرى القديم الأعلى . والملاحظ أن مخلفات ذلك الإنسان فى كل من سنجة وأبو حجار Abu Hugar التى تقع إلى الجنوب من سنجه

وعلى عمق ٨,٤٠ متراً فى باطن التربة تختلف عن مخلفات إنسان العصر الحجرى القديم حيث يندر فيها ظهور الفأس اليدوية ، وقد وضعه Arkell فى الفترة الواقعة بين العصر الحجرى القديم الأسفل وبين بداية العصر الحجرى القديم الأعلى (الصناعة السبيلية) كما سبق أن ذكرنا .

وكان إنسان ذلك العصر صياداً يعيش على صيد البر والبحر وعلى ما يجمعه من ثمار الأشجار ، وليس هناك أية مخلفات تدل على معرفته للزراعة أو لإستئناس الحيوان . ولقد كانت الصحراء الحالية تمتلىء بالحياة النباتية والحيوانية : Rex Keating, Land of Kush in UNESCO—Courier December 64. p. 29/30 أثبتت الإكتشافات الجيولوجية التى قامت بها البعثات الحديثة فى بلاد النوبة أن النيل قبل أن يشق مجراه الحالى فى هضبة النوبة منذ حوالى ٥٠,٠٠٠ سنة كانت له عدة فروع داخل الصحراء . وعلى طول تلك المجارى المائية القديمة أيضاً عاش إنسان العصر الحجرى ، ولقد عثر على آثار حضارية تنتمى إلى ذلك العصر على مسافة ٢٠ ميلا داخل الصحراء . وحوالى عام ١٠,٠٠٠ ق . م . إزدادت نسبة الأمطار التى كانت تسقط على منطقة النوبة مما هيأ الجو المناسب لحياة العديد من الحيوانات الضخمة كأفراس النهر والفيلة والزراف ، ولابد أن تلك الصور والرسوم الصخرية المنتشرة على صخور النوبة ، إنما هى تسجيل قام به إنسان ذلك العصر لما حوله من طبيعة . كما اهتم إنسان العصر الحجرى القديم بدفن موتاه بالقرب من مساكنه ووضع معها ما ظن إنه يعينها على الحياة بعد الموت من متاع الدنيا وأسلحتها . حسب اعتقاداتهم الدينية . وقد لوحظ أن السكاكين ورؤوس السهام المستعملة كانت من نوع يشبه ما كان موجوداً فى شمال الوادى من العصر الحجرى القديم الأعلى . كما استعمل خطاف معين لصيد الأسماك .

حضارة العصر الحجرى الحديث فى السودان :

عثر على إحدى مراكز ذلك العصر الحضارية فى الشهينات — غربى النيل وعلى بعد حوالى ٤٨ كم شمالى أمدرمان . وتتميز تلك الحضارة بأنواع

الفخار الأسود أو ذى الحافة السوداء ، ولم يعثر على مدافن لأصحاب تلك الحضارة سواء داخل المساكن أو بعيداً عنها . ومن أجل عدم توافر المادة الانثروبولوجية لا يمكن الجزم إن كان أصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث من نفس عنصر أصحاب الحضارة السابقة أم من العنصر الأسمر Brown race وعلى أية حال فإن المخلفات تدل على أن إنسان العصر الحجرى الحديث بالسودان قام بتطوير أدواته واستعمل الكثير من حلى الزينة . ولا شك أنه استطاع أن ينتقل عبر النيل بما يشبه القوارب البسيطة التى ربما استعملها أيضاً للصيد . ولم نعثر على أية شواهد تبين معرفة إنسان ذلك العصر لمبادىء الزراعة . على الرغم من معرفته لإستئناس بعض الحيوان وتدل المخلفات الحيوانية أن الطقس قد بدأ يتغير عنه فى العصر السابق .

وينتمى إلى تلك الحقبة كثير من النقوش الصخرية التى عثر عليها على عديد من صخور النوبة ، والجدير بالملاحظة أن الكثير من مظاهر حضارة العصر الحجرى الحديث بالخرطوم لها نظير معاصر ، ممثل فى حضارة العصر الحجرى الحديث بالفيوم ، وهى أقدم حضارات العصر الحجرى الحديث فى مصر على الإطلاق ، وكلاهما عاش فى فترة الألف الرابعة ق . م ، بالرغم من مساحة الألف ميل أو يزيد التى تفصلهما . اما تلك المظاهر فتحصر فى : كثرة استعمال النار فى الطهى واستئناس بعض الحيوان وعدم التوصل لمعرفة الزراعة . وعدم دفن الموتى داخل المساكن . واستعمال نوع معين من رؤوس السهام . ثم استعمال أنواع متشابهة من الفخار وخرز الزينة .

ولا جدال فى أن ذلك يؤكد الصلة الحضارية بين شطرى الوادى منذ أقدم العصور . وما زلنا نفتقر إلى المعلومات عن الفترة الواقعة ما بين حوالى عام ٣٨٠٠ ق . م ، وحوالى عام ٣١٠٠ ق . م . بالنسبة للحضارة السودانية ، وهى نفس الفترة التى ظهرت فيها حضارات عصر ما قبل الأسرات فى مصر .

الفصل الثانى

المجموعات الحضـــــاريه

حضارة المجموعة الأولى :

حوالى عام ٣١٠٠ ق . م . بدأت تظهر فى شمال البلاد مجموعة جديدة لها صفات حضارية خاصة أسمـاها مكتشفها رايزنر بالمجموعة الحضارية الأولى .
وجل مخلفاتها عثر عليها فى النوبة ، وحتى الآن لم يعثر على أكثر من جبانتين لأصحاب هذه المجموعة فى السودان ، واحدة فى فرص شمالى وادى حلفا ، والأخرى فى جمى جنوبى وادى حلفا ، ولكن الباحثين عثروا على بعض الفخار المشابه لفخار المجموعة الأولى فى أنحاء متفرقة من شمال السودان وبخاصة بالقرب من أمـدرمان . ولعل الأدوات النحاسية التى عثر عليها فى مقابر المجموعة الأولى فى فرص هى أقدم ما عثر عليه من أدوات معدنية فى السودان القديم حتى الآن .

وتعطينا بعض الآثار المصرية المستوردة ، والتى عثر عليها فى مقابر تلك المجموعة ، تاريخاً يعاصر منتصف الأسرة الأولى فى مصر (٣٠٠٠ — ٢٩٠٠ ق . م) .

وهكذا نجد أن سمات حضارة المجموعة الأولى فى شمال السودان وفى النوبة المصرية تظهر بوضوح منذ العصر الذى تم فيه توحيـد شمال الوادى وتكوين الحكومة المتحدة الثـانية تحت زعامة ملوك الأسرة الأولى . فى ذلك الزمان يبـدو أن بلاد النوبة قد وفد عليها أقوام من الشمال لا يختلفون كثيراً عن العنصر الذى كان موجوداً فى مصر والمنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات من حيث العنصر البشرى ونوع الحضـارة . وأخذت حضارة المجموعة الأولى تزدهر فى أقاليم النوبة أيام الأسرة الأولى فى مصر ، بعد أن كانت تلك البلاد تفتقر كثيراً إلى العنصر البشرى ، ويبدو ذلك جلياً عند مقارنة مخلفات المجموعة الأولى المتأخرة بما تم العثور عليه من الجبـانات التى تنتمى إلى عصور أقدم . وأهم ما يميز حضارة المجموعة الأولى أنواع الفخار الذى عثر عليها مع الدفنات منها القدور الكبيرة ذات اللون

الأحمر الفاتح (الوردى) ثم الأوانى الصغيرة ذات الحليات التى تعتبر تقليداً للسلال ، أما طريقة الدفن فكانت تتم بوضع المتوفى إما فى حفرة بيضاوية أو يضاف لتلك الحفرة حفرة أخرى جانبية تشبه الكوة الكبيرة يتم فيها الدفن على عمق قد يبلغ ١٫٣٠ متراً . (أنظر W. Emery, Egypt in Nubia p. 125) ويرقد الميت فى وضع القرفصاء على جانبه الأيمن على أن يكون الرأس ناحية الغرب ، وكما هو الحال فى مقابر ما قبل الأسرات فى مصر كان يحاط المتوفى بعديد من الأوانى الفخارية الحجرية وبعض الأدوات النحاسية ثم عقود الزينة من الأحجار نصف الكريمة والمحار .

وقد كشفت البعثة النمساوية على رسوم صخرية ترجع إلى أيام المجموعة الأولى (أنظر Rex Keating, UNESCO Courier December 1964 p. 28/29,) وكذلك كشفت البعثة الاسكندنافية عن تمثالين صغيرين أحدهما لفتاة صغيرة والآخر لامرأة فى مقبرة سيدة من المجموعة الأولى (نفس المرجع p. 28).

وآثار ملوك الأسرة الأولى التى عاصرت حضارة المجموعة الأولى على قلتها يجب أن تدرس بعناية . فكما درست لوحة نعرمر الذى اقترن فيها الرمز بالصورة ، والذى بواسطتها أمكن التأكد بصورة تكاد تكون قاطعة من قيام الحكومة المتحدة المصرية على يد نعرمر . يجب كذلك أن يدرس الأثر المسجل على صخور جبل الشيخ سليمان فى غرب النيل عند كور (نقل إلى متحف الخرطوم) إلى الجنوب من بوهين والخاص بالملك جر من أوائل ملوك الأسرة الأولى المصرية لما له من أهمية بالنسبة لدراسة تاريخ السودان القديم ذلك الأثر بدى فيه نموذج من المحاولات الأولى للتسجيل بالرمز الذى يكاد يقرب من الكتابة فى أول أطوارها . هنالك صور الإسم مكتوبا كما هى العادة المتبعة فى كتابة الأسماء الملكية بالعلامة التى تقرأ فى الهيروغليفية جر ، فوق ما يشبه تمثيل لواجهة القصر الملكى ، وفوقها جميعاً رسم الصقر رمز الإله حورس ، ورمز الملك كوريث للإله حورس على العرش وهو المعنى المؤخوذ من التقليد القديم الذى تحول إلى أسطورة منذ أن قامت الوحدة الأولى فى مصر قبل وحدة نعرمر — منا التاريخية هناك حسب قول الأسطورة

كان يحكم البلاد آلهة وكان الإله حورس هو القائم على تلك الوحدة العريقة . ومن يومها تيمن الفراعنة باسمه وأضافوا إلى أسمائهم اسم حورس . وأمام اسم الملك جر المذكور صور أحد الأسرى واقفاً بينما قيدت يداه خلف ظهره بحبل . وتصوير الأسرى مقيدين بتلك الصورة ظل معمولا به فى التصوير والرمز طوال التاريخ المصرى القديم . وأمام الأسير رمزاً لما يشبه المياه . ولعل المقصود به أن موقعة حربية بين جنود ملك مصر وبين أهالى المنطقة حدثت فى منطقة الجنادل حيث الملاحة الصعبة أو ربما يعنى ذلك أن القتال قد دار فى النهر — ثم صور الفنان دائرتين داخل كل منهما خطين متقاطعين عموديا وفوق أحدهما طائر يشبه الصقر وفوق الأخرى علامة غامضة ، وتلك الدوائر عرفت فى الكتابة الهيروغليفية بعد ذلك على أنها رموز لكلمة مدينة بمعناها القديم . وربما المقصود أن القتال الذى دار فى منطقة الجنادل قد نتج عنه إخضاع العصاه فى مدينتين بمنطقة الملاحة الصعبة بالنوبة .

وبعد ذلك يحاول الفنان أن يفسر الرموز السابقة فيصور مركبا مصريا صميما مربوطا فى مقدمته أحد الأسرى بحبل يلتف حول رقبته ويديه الموثوقتين خلف ظهره . وأسفل المركب وتحت الأسير صور أربعة رجال صرعى . إذن فكما هى العادة فى الكتابة الهيروغليفية التى أخذت محاولاتها الأولى ترسخ وتأخذ شكلها النهائى خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية . نجد الفنان هنا يحاول كتابة الحدث بالرموز المتعارف عليها . ثم يفسره أخيراً برسم يقرب إلى الصورة منه إلى الكتابة (انظر اللوحة رقم) .

ولو أضفنا إلى نقش الملك جر السلف ذكره أمر العثور على كثير من صناعات الأسرة الأولى فى المقابر التى ترجع إلى حضارة المجموعة الأولى Emery, Archaic Egypt, p. 60. ، تلك القطع التى تتمثل فى أوانى حجرية من الطراز الخاص بعصر الأسرتين الأولى والثانية داخل قلعة بوهن إذن لحاولنا إرجاع اول عهد المصريين بارتياد تلك البلاد إلى أيام الأسرة الأولى فى مصر ، وليس هذا بمستبعد إذا عرفنا أن ملوك الأسرتين الأولى

والثانية قد احتاجوا لذهب النوبة الذى صنعوا منه كثيراً من آثارهم الملكية . فكما حدثتنا نصوص الأهرام التى يرجع الكثير منها إلى ما قبل تسجيلها فى أيام الدولة القديمة بكثير ، كان الذهب معدناً ملكياً مقدساً فكل مايخص فرعون فهو ذهبي مقدس . ولاشك أنهم حاولوا بتلك الحملات إخضاع البلاد ليضمنوا وصول ذلك المعدن المقدس إلى القصر الملكى فى الشمال .

وظلت الأحوال مستقرة ، واستمرت حضارة المجموعة الأولى فى الازدهار إلى أن وصلت الأيام زمن الملك خع — سخم (وليس خع — سخموى كما ذكر Arkell, p. 40) هنالك يبدو أن الأحوال قد اضطرته إلى إرسال حملة قوية إلى الجنوب من حدود مصر (Emery, Archaic Egypt, p. 100, fig. 64) فضمن الآثار القليلة التى عثر عليها فى « هيراكن بوليس » جزء من لوحة صور عليها تسجيلا لانتصاره على أهل الجنوب «تاستى» ، ويلاحظ أن الشخص الذى صور ليرمز لأهل الجنوب ملتحياً ، ويعتبر هذا من أقدم الصور التى تمثل أهل الجنوب .

والظاهر أن حملات خع — سخم قد قضت على حضارة المجموعة الأولى فى النوبة ، وببداية عهد الدولة القديمة تظهر سمات حضارية أخرى تختلف فى مجموعها عن مميزات حضارة المجموعة الأولى .

حضارة المجموعة الثانية (؟) :

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من العلماء يعترض على وجود تلك الحضارة أصلا ، وهى التى عاصرت زمن الدولة القديمة فى مصر ، أى فى الفترة من ٢٨٠٠ — ٢٢٠٠ ق. م. وتتميز بفقرها .

ولعل أبرز الحملات التى تم تسجيلها بصورة واضحة تلك الحملة التى قامت أيام عاهل الأسرة الرابعة الملك سنفرو ضد أصحاب حضارة تلك المجموعة حيث سجلت أخبارها ضمن حولياته على حجر بالرمو المشهور ، ومن الأرقام التى ذكرها سنفرو نستطيع أن نكون فكرة عن مدى مقاومة أهل البلاد وعن محاولة المصريين الاستفادة من العنصر البشرى ، فرغم أن تلك المعلومات سجلت

بطريقة مقتضبة جداً كما اتبع فى كل الأحداث المسجلة على الحجر المذكور فقد وردت أرقام الأسرى التى بلغت ٧٠٠٠ أسيراً بالإضافة إلى ٢٠٠٫٠٠٠ ألف رأس من الأغنام والماشية ، وقد أطلق سنفرو على سكان الجنوب وقتذاك اسم « نحسيو » وكان المقصود بهذا التسمية كل القبائل التى تسكن جنوبى الحدود المصرية . وقد يبدو طبيعياً أن نتصور سبب اضمحلال الحضارة التى عرفت بحضارة المجموعة الأولى وكذلك حضارة المجموعة الثانية فى شمال السودان وفى النوبة المصرية ، فلا بد أن هجمات الملك خع — سخم ومن بعده الملك سنفرو كانت من العوامل الحاسمة . وبعدها كثر الحديث فى الآثار المصرية عن البعثات التعدينيـة والتجارية من أجل الحصول على منتجات الجنوب ولعل أهمها جميعاً الذهب .

وضمن آثار الدولة القديمة منذ أيام الأسرة الرابعة يبدأ استعمال حجر الديوريت فى صناعة التماثيل الملكية مثل تمثال خفرع بالمتحف المصرى ، ولقد دلت الأبحاث على توافر ذلك الحجر فى المنطقة الواقعة إلى الغرب من تشقه بحوالى ٨٠ كيلو متر ، هنالك وفى منطقـة المحاجر عـثر الأثريون على أسماء الملوك خوفو ودد فرع ثم ساحورع واسيسى من الاسرتين الرابعة والخامسة .

ومما هو جدير بالذكر أن أحدث الأبحاث فى منطقة بوهين إلى الجنوب من وادى حلفا قد كشفت النقاب عن وجود معدن النحاس هناك ووجود مدينة سكنية كبيرة محصنة للعمال والمشتغلين المصريين ، بالإضافة إلى عدد قليل من أهل المنطقة ينتمون إلى المجموعة الحضارية الثالثة . والغريب أن كثيراً من الدلائل تشير إلى أن تلك المدينـة ترجع فى تأسيسها إلى العصر العتيق أى قبل قيام الدولة القديمة ، فبصرف النظر عن أنواع الفخار التى عثر عليها والتى تشبه فخار الأسرة الثانية المصرية والذى يحتمل أن استعمالها قد استمر أيام الأسرة الرابعة أيضا ، هناك طراز الطوب الكبير المشيدة منه حوائط المدينة ، فهو من نفس طراز الطوب المقامة به عمائر الأسرة الثانية .

وقد عثر على اسماء كل من الملوك خفرع ومنكاورع من الأسرة الرابعة

ثم ساحورع ونفر إركارع ونيوسرع من ملوك الاسرة الخامسة سواء على شكل أختام أو على قطع الفخار، وغنى عن البيان أنه بناء على اكتشاف تلك المدينة السكنية التى قامت لتصبح مركزاً لاستخلاص معدن النحاس ، فلابد أن مناجم ذلك المعدن كانت وما تزال موجودة فى مكان ما بالقرب من بوهين تنتظر اليوم الذى يكشف فيه النقاب عنها . وهكذا يضاف إلى محاصيل ومنتجات النوبة معدن آخر هو معدن النحاس فهل ورد ذكره فى النصوص المصرية ضمن محصولات النوبة ، أم أن استخلاص النحاس من المنطقة المحيطة ببوهين اقتصر فقط على زمن الدولة القديمة ثم تلاشى ؟ . الواقع أن هذا المعدن لم يرد ذكره ضمن قوائم منتجات النوبة أيام الدولة الحديثة كما أن الآثار التى وجدت بالمدينة المذكورة كانت قاصرة على زمن الدولة القديمة فقط ولم تتعداها .

وفى رأيى أن علاقة مصر ببلاد النوبة أيام العصر العتيق تحتاج إلى كثير من البحث والجرأة أيضا فى استخلاص النتائج . فمثلا هناك أثر للملك خع سخم من الأسرة الثانية يسجل بطريقة مقتضبة انتصاراً على أهل الجنوب وفيه أشير إلى اسم تلك البلاد بالإشارة التى تعارف عليها طوال التاريخ المصرى القديم «تاستى» وبشكل واضح ليس فيه تردد المبتدئين، مما يدل على معرفة سابقة بمدلولها . ولو أخذنا فى الاعتبار العديد من الشواهد السالفة الذكر لما أصبح هناك مجالا للتردد فى حقيقة أن المصريين — وعلى الاخص فى النصف الثانى من العصر العتيق — قد ارتادوا تلك البقاع وعرفوها سواء للتجارة أو عند صد الغارات ، ويبدو ذلك بشكل واضح خلال التاريخ الطويل للأسرة الثانية ، فالمتعارف عليه أن العصر العتيق قد دام نحو اربعمائة وخمسين عاما بل إن بعض المؤرخين يقدرها بحوالى خمسة قرون ونصف قرن ، وهى فترة كافية بلا شك لرسوخ أقدام الحضارة المصرية التى مرت خلال تجارب رائدة لإرساء دعائم حضارة عريقة وذلك قبل بداية العصر العتيق وقبل قيام الوحدة الثانية على يد نعرمر — منا مؤسس الاسرة الاولى فى تاريخ الوادى .

وفى تلك العصور السحيقة أطلق المصريون على جيرانهم فى الجنوب اسم

«تاستيو» وسموا أرضهم «تاسق» بمعنى أرض أهل الأقواس وحتى اسمهم كتب بالإشارة الدالة على الأقواس مع العلم بأن إقليم أسوان وهو أول أقاليم الصعيد الواقع فى أقصى حدود مصر الجنوبية، كان يطلق عليه نفس الاسم، ولعلهم قصدوا بذلك أنه أقرب الأقاليم لأهل الجنوب . بل إنهم بذلك يكادون يعتبرونه ضمن أقاليم النوبة ، والحقيقة أن أهل النوبة امتازوا منذ القدم بمهارة استعمالهم للأقواس والسهام فى الإغارة ، وطالما قامت بعض جماعاتهم بمهاجمة الحدود الجنوبية لمصر وكذا البعثات العديدة للمصريين فيما وراء الشلال الأول ، ويكاد يتفق الرأى على أن غارات أهل النوبة السفلى على حدود مصر فى عصورها المختلفة وبخاصة تلك المرحلة من التاريخ القديم إنما مردها إلى طبيعة البلاد الجغرافية التى أصيبت بالجفاف فقلت مواردها .

وقد إزداد اهتمام المصريين بالجنوب منذ أواخر الأسرة الخامسة المصرية وأخذوا فى تنظيم علاقاتهم بجيرانهم فيما وراء الشلال الأول وهنالك ظهر منصب جديد هام أطلق على صاحبه (حاكم الجنوب) وكانت مهمته سياسية واقتصادية ، فهو المسئول عن حراسة الباب الجنوبى لمصر ، والقضاء على الاضطرابات العديدة التى غالبا ماسببتها هجرات غريبة عن المنطقة ، وكان يقوم بتنظيم التبادل التجارى بين حاصلات القارة وحاصلات مصر ، ثم كان عليه أن يمهد وسائل المواصلات لبعثات التجارة والتعدين المصرية فيما وراء الشلال الأول، وكان يشترط فى شاغل ذلك المنصب عدا الخبرة بشئون التجارة والبدل ان يجيد لغات ولهجات القبائل المقيمة فى النوبة ليسهل الاتصال بها . ولعل ذلك أن يكون أوضح مثال للدبلوماسية فى العالم القديم . وقد سميت أسوان بهذا الاسم ومعناه بالمصرية «السوق» إشارة إلى مهمة المدينة الفعلية حيث كان يقيم حكام الجنوب وهناك كشفت الحفائر عن سلسلة من المقابر الصخرية لهؤلاء الحكام من زمن الدولة القديمة ، ومن أمثلة حكام الجنوب أيام الأسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٥٨ ق.م.) « أونى » (Kurt Sethe, Urk. des A. R. I, 98—110) وقد سجل تاريخ حياته على صفحات قبره بموطنه أبيدوس «حيث نقل هذا النقش الهام من هناك إلى المتحف المصرى بالقاهرة)

وخدم أونى زمن الملوك تيتى وبيبى الأول ومرنرع من الأسرة السادسة ، ولا جدال فى أن إنشاء منصب حاكم الجنوب هو تطور فى تنظيم علاقة مصر بجيرانها فى الجنوب وتهذيب للعلاقات الدبلوماسية بين الدول . وبداية وضع الأسس للدبلوماسية المصرية التى اتضح دورها فيما بعد قيام الدولة الوسطى والحديثة ، عندما أصبحت التقاليد الدبلوماسية راسخة . وذكر حاكم الجنوب أونى ضمن ما ذكر أنه استعان بجنود من جهات النوبة المختلفة مثل ارثت ، البجا ، ايام ، واوات ، وكاعو وذلك عند قيامه بتجهيز جيش لمحاربة البدو الاسيويين . كما كلف أونى من لدن مليكه بإحضار تابوت حجرى كامل وقمة هرمية ليتوج بها هرم الملك فى صقارة ، من منطقة محاجر تدعى إبهيت بالنوبة ، ويفخر أونى بوصوله إلى تلك البقاع التى لم تصلها بعثات مصرية من قبل على حد تعبيره . وفى مهمة أخرى أرسـل أونى إلى واوات لإحضار خشب السنط اللازم لإعداد ثلاث مراكب للنقل وأربعة مراكب أخرى ، فيبين كيف أن رؤساء ارثت والبجا قاموا بإمداده بالخشب اللازم وأنه استطاع أن ينجز تلك المهمة فأنزل المراكب إلى النيل بعد أن حملها بكثير من حجر الجرانيت اللازم لبناء الهرم الملـكى .

حضارة المجموعة الثالثة : (انظر اللوحة رقم ١ واللوحة رقم ٢)

انتهت دورة من دورات التطور وقامت الثورة الشعبية العارمة وسقطت على إثرها أعتى واقوى العروش حينذاك ونعنى بها الدولة القديمة فى مصر ، وانقطعت الصلات التجارية المنتظمة بين السودان ومصر ، وتذكر المصادر الأدبية التى تردد صداها بعدئذ أن جنود الجنوب الذين كانوا ضمن حرس فرعون قد ساهموا فى إذكاء نار الثورة ، ويحدثنا أمير إقليم أدفو أيام فترة المحنة الأولى فى مصر بعد سقوط الدولة القديمة (على جدران قبره فى المعله) عن إرسال الحبوب إلى واوات إثر إنتشار المجاعة هناك ، للمساهمة فى حل الأزمة وفى ذلك إشـارة إلى استمرار وجود الصلة بين مصر والنوبة فى ذلك الوقت .

(Vercoutter, Kush V, p. 69; Vandier, Mo'alla, Le Caire 1950 p. 220 ff.)

وكما ظهر الجنود النوبيون ضمن فرق أمراء الأقاليم أيام ازدهار الإقطاع بعد سقوط الدولة القديمة ، كان لهم دور فعال فى الصراع الذى احتدم بين الأقاليم بعضها البعض حيث كون منهم الأمراء فيالق كاملة وحاولوا الاستفادة من شهرتهم فى استعمال القوس والسهم فى الإغارة . فعلى سبيل المثال هذا أمير إقليم أسيوط يحتفظ فى جيشه بفيلق نوبى فإذا ما غادر الأمير هذا العالم أمر بأن يصنع نموذج لذلك الفيلق مع غيره لكى يوضع معه فى القبر ويرافقه فى رحلة الخلود ، ويحتفظ المتحف المصرى بالقاهرة بهذه المجموعة التى تجسد فكرة اهتمام القوم وتقديرهم لأولئك الجنود النوبيين .

وفى تلك الفترة نلمح ظهور شعب جديد فى منطقة النوبة السفلى سميناه بالمجموعة الثالثة وكانت أقصى حدودها الشمالية هى قرية كبانية Kubanieh إلى الشمال من كوم امبو (Junker, Kubanieh Nord, p. 35 ff.) وحدودها الجنوبية موقع « فرص » ، (Posener. Kush VI, p. 40, 63) وكانت الحرفة الرئيسية لأهل تلك الحضارة هى رعى الأبقار وغيرها من الحيوان ، وتتميز حضارتهم بأنواع خاصة من الصناعات اليدوية وأهمها الفخار ، فينسب إليهم نوع معين من القدور السوداء ذات الخطوط البيضاء المتقاطعة ، كما يلاحظ عدم وجود فوارق كبيرة بين حجم المقابر الخاصة بتلك الحضارة وكذلك فيما يختص بشكلها المستدير .

حضارة كرمة : (انظر اللوحة رقم ٣)

وإلى الجنوب من منطقة المجموعة الثالثة ظهرت المجموعة الحضارية التى أطلق عليها حضارة كرمة نسبة إلى مركزها الرئيسى وهو قرية كرمة الحالية بالقرب من الشلال الثالث ، حيث عثر حديثاً على مخلفات هذه الحضارة ، ولقد انتشرت تلك الحضارة على ما يبدو فى منطقة دنقلة حتى « صاى » « وعمره » فى الشمال ، وهى منطقة يتسع فيها السهل وتكثر الخيرات الزراعية ، وانفردت بنوع خاص من الفخار الأحمر المصقول ذى الحافة السوداء وبنوع فريد من الخناجر ، وأهم من ذلك التفاوت الكبير بين شكل وحجم المقابر وطريقة الدفن ، ولكى نوضح المقصود يكفى أن نبين أن القبر فى كرمة الذى اتخذ شكل الكوم

المستدير المنخفض قد شغل أحياناً مساحة كبيرة جداً ، فني إحداها بلغ قطره حوالى ٩٠ متراً ولم يتعدى الارتفاع ثلاثة أمتار فقط ، وفى جسم الكوم المستدير وبخاصة فى المقابر الكبيرة بنى حائطان من الطوب اللبن بمحاذاة القطر يكونان ما يشبه الدهليز ويتفرع منه بزاوية قائمة حوائط تصل إلى محيط القبر مهمتها المحافظة على شكله الخارجى ، ويجمعها حائط دائرى منخفض ، ويغطى القبر بعد ذلك بالرمال وتوضع على قمته لوحة غير مكتوبة ، ويحدد من الخارج بدائرة من الأحجار الصغيرة السوداء وفى منتصف هذا الكوم فى الداخل بنيت حجرة رئيسية غالبا ما تكون فوق سطح الأرض، وأحيانا كانت تحتوى على حفرة يتم فيها دفن صاحب القبر بدون تحنيط بوضعه على سرير من الخشب ، وكانت هذه الحجرة فى المقابر الكبيرة ذات قبة من الطوب اللبن ، وفى داخل منطقة الدفن فى كرمة عثر على مقاصير مبنية من الطوب تحمل رسوما ، كانت بمثابة أماكن لإقامة الطقوس الخاصة بكل الجبانة :

Reisner, Mus. of Fine Arts, Bull. 13, p. 72, Vercoutter, Kush VI, p. 148 and pl. XL. I.

وانتشرت بين أصحاب تلك الحضارة عادة التضحية بالأتباع والخدم والحيوانات ثم دفنهم دفعة واحدة مع صاحب القبر ، فنى المقابر الكبيرة فى كرمة بلغ عدد الأشخاص الذين قتلوا ليدفنوا مع سيدهم ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخصا ما بين رجال ونساء وأطفال ، أما المقابر الأصغر شأنا فيتفاوت عدد ضحاياها بين ١ ، ١٢ شخصا ، كانوا يتركون فى أرضية غرفة الدفن الرئيسية ثم فى الدهليز الكبير داخل المقبرة فى غير ما نظام معين ، وجدير بالذكر أن بعض مقابر ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس وسقارة فى مصر ربما اشتملت على دفنات من هذا النوع (Emery, Archaic Egypt, p. 66, 1961) . ويلاحظ أن عادة التضحية بالأتباع ودفنهم مع صاحب المقبرة عادت للظهور فى منطقة النوبة بعد سقوط دولة مروى لدى أصحاب حضارة المجموعة الغامضة « X-Group » ولقد عثر فى مقابرهم الضخمة فى بلانة وقسطل على عديد من الضحايا الآدمية والحيوانية دفنوا بنفس الطريقة التى مارسها أصحاب حضارة كرمة حول الشلال الثالث ، ولقد حاول بعض رجال الآثار أن

يدعى بأن أواخر ملوك مملكة مروى مارسوا نفس تلك العادة السابقة إلا أن الدليل على ذلك ضعيف . وكل ما يمكن قوله فى هذا السبيل هو أن بعض ملوك أسرة نبتة قد مارسوا هذه العادة بالنسبة للتضحية بالحيوان والخيول بالذات ، فقد عثر على مقابر خاصة بالخيول فى الكرو بالقرب من أهرامات أصحابها من الملوك مما سيرد ذكره فيما بعد . وهكذا يبدو من طريقة الدفن . ومما عثر عليه هناك من صناعات يدوية متقدمة أن حضارة كرمة قد امتازت عن حضارة المجموعة الثالثة فى الشمال بنظام مركزى قوى ونظام محلى متقدم ، فكان يتزعم أهلها أمير من تحته جهاز إدارى ، ولولا عدم وجود وثائق مكتوبة لعدم استعمالهم للكتابة ، لأمكن تحديد أسماء وأنساب أولئك الحكام أصحاب تلك المقابر الضخمة فى كرمة . ولأمكن معرفة الكثير عن درجة تفكيرهم ومستوى حضارة قومهم .

ومما هو جدير بالملاحظة أيضا أن المرجع الوحيد لهذه الحضارة حاليا يتمثل فى نتائج حفائر Reisner فى كرمة . ورغم أن تقارير ريزنر قد أمدتنا بالكثير عن حضارة كرمة إلا أنها تحتاج إلى الكثير من الدراسة فلا بد أن أصحاب تلك الحضارة هم الأصل فى قيام الحضارات المستقلة فى شمال السودان فى الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الوسطى وقيام الدولة الحديثة فى مصر . وليس بمستبعد أن أهل كرمة والمنطقة المحيطة بها هم أصحاب دولة كوش التى عاصرت الهكسوس والتى حاول أبو فيس ملك الهكسوس أن يعقد معها حلفا يساعده على إخضاع أهل طيبة (وهم أصحاب الاسرة السابعة عشر المصرية كما سيرد ذكره فيما بعد) . هذا وقد عاشت كلا الحضارتين بجانب بعضها البعض حتى دخول الهكسوس وغزوهم لمصر عام ١٧٣٠ ق. م. ، أما الآراء حول أصل أصحاب حضارتى كل من المجموعة الثالثة وكرمة فقد تفاوتت: أما ريزنر فيفرق بين أصحاب كل من الحضارتين ، ويعتبر أن أصحاب المجموعة الثالثة يمثلون شعبا بدويا ربما يمت بصلة قرابة لليبيين الجنوبيين (الطمياح) . أما أهل حضارة كرمة فيعتبرهم مجموعة استوطنت البلاد منذ الدولة القديمة وربما قبل ذلك (Reisner Kerma V. p. 555 ff.) ويضيف أن كليهما لم يدخل عليه إلا مسحة قليلة من العنصر الزنجى .

أما شتايندروف Steindorff, Aniba, p. 13 فيعتبر أصحاب حضارة كرمة ضمن طائفة شعوب شمال إفريقيا مثلهم فى ذلك مثل الليبيين ، أما المجموعة الثالثة فيقول إن أصحابها قد وفدوا من منطقة منابع النيل الأزرق والعطبرة أو من منطقة كردفان .

ويعتبر يونكر Junker, Kubanieh Nord p. IV-V كليهما من العنصر الحامى اختلط بهما الزنوج ويؤكد أنهما قبيلتان لشعب واحد .

ويقول آركل Arkell, History p, 46 ff إن أصحاب المجموعة الثالثة ليبيين جنوبيين . وبالدراسة المستفيضة لمخلفات الحضارتين تتضح الصلة الحضارية بينهما وبخاصة فى طريقة الدفن على سرير وعادة التضحية بدفن الحيوان مع المتوفى وكذلك فى شكل القبر يضاف إلى ذلك بعض الصناعات المتشابهة Steindorff Aniba I, p. 16. أما ما يظهر من اختلاف كبير فى حجم المقابر وفى دفنات الأتباع التى تمتاز بها حضارة كرمة فربما كان مرده إلى ذلك النظام المركزى الذى تمتعت به حضارة كرمة، بعكس حضارة المجموعة الثالثة ، وليس بغريب أن نجد أن أقصى الحدود التى بلغها المصريون أيام الدولة الوسطى تنتهى عند الحدود التى تفصل بين هاتين الحضارتين جغرافيا أى عند الشلال الثانى .

اخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة :

ولقد اضطرت الإغارات المتتالية على حدود مصر الجنوبية ملوك الأسرة الحادية عشر إلى إرسال الحملات الحربية لتأمين الحدود وإخضاع أصحاب حضارة المجموعة الثالثة . وربما كان فى تسجيل أسماء بعض الملوك المصريين فى مناطق النوبة السفلى مثل « جرف حسين ، توماس ، وأبريم ، وتشقه ، وأبو سمبل » وغيرها ما يفيد وصول حملات الأسرة الحادية عشرة إلى تلك البقاع أثناء قيامها بمطاردة المغيرين وتأمين سبيل التجارة بين مصر وبين شمال السودان . وهناك نقش من دهميت جنوبى أسوان لأحد رجال منتوحتب الثانى عاهل الأسرة الحادية عشرة وموحد مصر بعد فوضى الإنقسام فى

الفترة المسماة بالعصر الوسيط الأول (٢٢٦٣ — ٢٠٤٠ ق . م) ، وصاحب النقش (أنظر أحمد بدوى فى موكب الشمس الجزء الثانى ص ٢٢٧ ، هامش رقم ٣) يتحدث عن قيامه بجمع جنود لجيش مصر من أبناء النوبة ليساهموا فى الحرب ضد الآسيويين . من ذلك نرى مدى تقدم العلاقات التى أمكن إعادتها فى بداية الدولة الوسطى . وفى النبوءة التى أطلقها امنمحات الأول عاهل الأسرة الثانية عشر تمهيداً لتوليه عرش مصر ومحاولة إعطاء حكمه الصبغة الشرعية (بردية بطرسبرج رقم ١١١٦) ماقد يشير إلى ، أن أم امنمحات الأول من النوبة ولا يفوتنا الإشارة إلى ملامح منتوحتب الثانى عاهل الأسرة الحادية عشرة ولون بشرته التى تميل إلى السواد . والراجح أن فتح النوبة أيام الدولة الوسطى قد بدأ زمن أمنمحات الأول وبعد أن استقرت له أمور الملك والسياسة ، فالنقوش الصخرية عند وادى جرجاوى بالقرب من كورسكو (انظر أحمد بدوى الجزء الثانى ص ٢٢٩ وما بعدها) المؤرخة بالعام التاسع والعشرين من حكمه تشير إلى إرسال حملة إلى واوات ثم ما قرره أمنمحات بنفسه فى تعاليمه اولى عهده سنوسرت الأول من أنه أخضع أهل واوات والمجا ، ولعل فى تسجيل اسم أمنمحات الأول فى محاجر الديوريت بأبى سمبل دليلا على نشاط بعثات المحاجر فى أواخر ايامه .

والواقع أن حملات سنوسرت الأول على بلاد النوبة كانت بالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة حاسمة ، وقد سجل الملك أخبار انتصاراته ووصوله إلى أقصى منطقة وصلت إليها القوات المصرية أيام الدولة الوسطى على لوح أقيم فى معبد بوهين تحت قيادة قائده منتوحتب وذلك فى العام الثامن عشر من حكمه (Breasted, AR, 510 ثم بدوى الجزء الثانى ص ٢٣٢ وما بعدها ، Arkell, History, p. 59 f.) وقد سجل عليه أسماء عشرة أقاليم تقع إلى الجنوب من مصر وخضعت كلها للملك ضمنها كوش ، وشعات Shaât وهى صاى الحالية (Vercoutter Kush VI 147—8.) ثم شميك Shemyk وربما كانت هى نفسها أورو نارتى Uronarti ، وبهذه المناسبة نود أن نشير إلى أن أحدث الأبحاث التى قام بها العالم فركوتى Vercoutter (فى مجلة : Kush V, p. 61—69) فى بوهين والمنطقة المحيطة بها أشارت

إلى احتمال نزوح عدد كبير من المصريين وبخاصة من أهالى منطقة طيبة ، وقد قام هذا العالم بدراسة مخلفاتهم هناك وبخاصة اللوحات التى تركوها ، واستنتج من دراسة أسماء أصحابها ومن معبوداتهم وجود عدد غير قليل منهم فى الفترة التى تلت فتوحات سنوسرت الأول والثالث ليقيموا داخل القلاع العديدة التى أخذت تنتشر فى البلاد ، وتشهد جباناتهم بما تحتويه من تقاليد وعادات مصرية صميمة بموطنهم الاصلى . والواقع أن موضوع إستيطان عدد من المصريين فى بلاد النوبة فى بداية أيام الدولة الوسطى مازال يحتاج إلى مصادر تاريخية أوفى وأشمل حتى يمكن أن يقول العلم فيه كلمته الأخيرة . فإن أغلب النصوص التى تتحدث عن حملات حربية ضد الثائرين من أهل تلك البلاد تشير إلى احتمال استيطان الجنود المصريين للبلاد، فنقوش أمنمحات حاكم إقليم بنى حسن فى مصر الوسطى ، التى تحكى عن حملات حربية ضد الثائرين فى تلك البلاد ، تشير إلى عودة الجنود بعد انتهاء مهامهم إلى موطنهم الاصلى فى مصر .

ورغم قلة المصادر الموثوقة فإن عدداً من اللوحات التى عثر عليها فى بوهين تؤكد وجود عائلات مصرية مستوطنة لمدد طويلة أيام الدولة الوسطى فى النوبة ، ليس فقط لأنهم يحملون أسماء مصرية ولكن لأنهم أيضا أحضروا معهم معبوداتهم المحلية ، بالإضافة إلى تقديسهم لمعبودات المنطقة المحلية . (راجع المصدر السابق ؛

(Breasted A.R.I, 519—20; Newberry & Griffith, Beni Hassan I, pl. VIII.)

وبالإضافة إلى نقش بوهين هناك أخبار ثلاث حملات أخرى قام بها حاكم الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا (بنى حسن) إلى النوبة لحساب فرعون الأولى حربية والثانية والثالثة لإحضار المعادن واستخراج الذهب Breasted A.R.I. 88, 520, 521. وهناك لوحات تشير إلى أن قلعتى بوهين وكوبان (وربما غيرهما من القلاع) قد تم إنشاؤهما فعلا أيام سنوسرت الأول وذلك ضمن أربعة عشرة قلعة أقامها ملوك الدولة الوسطى فى النوبة

السفلى لتأمين الحدود و تسهيل سبيل المرور والحماية لبعثات التعدين و التجارة، وقد أقيم فى كل قلعة معبد صغير من الطوب اللبن الذى استبدل بالحجر فى الدولة الحديثة . وفى منطقة الشلال الثانى أقيمت القلاع متجاورة بحيث يمكن لبعضها مؤازرة البعض الآخر فى حالة الضرورة ولم يمكث فى القلاع إلا أعداداً قليلة من الجنود ، كانوا يكلفون أيضا بسحب وحماية القوارب أثناء مرورها بين صخور منطقة الشلالات هناك، هذا بالإضافة إلى عملهم الأساسى وهو حماية الحدود . أما الموجود من القلاع فى المنطقة ما بين الشلال الأول ووادى حلفا فكان الغرض منها ضمان السيطرة على أصحاب حضارة المجموعة الثالثة خشية إثارة الإضطرابات على حدود مصر الجنوبية وقد عثر فى مقبرة من أواخر الدولة الوسطى تحت معبد الرمسيوم بطيبه على بردية تحمل قائمة بأسماء القلاع الأربعة عشرة المذكورة :

(Arkell, History p., 62 ff: Budge I, 539 ff.)

الفصل الثالث

دولة كوش

ويدور الزمن دورة وتنتهى حلقة أخرى من حلقات التطور فى الشمال ، وتسقط الدولة الوسطى فى مصر بدخول الهكسوس الآسيويين عام ١٧٣٠ق.م. ومهما قيل عن مدى انتشار نفوذهم فى الجنوب فإن الوثائق تؤكد أن كوش كلها قد أصبحت تكون دولة موحدة مستقلة خلال المائة وخمسين عاما الواقعة ما بين سقوط الدولة الوسطى وقيام الدولة الحديثة (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق م) سميت باسم دولة كوش وكان على رأسها حاكم من أهلها عرف فى المحيط الدولى حينذاك باسم حاكم كوش يقف على قدم المساواة مع الدولتين اللتين اقتسمتا شمال الوادى، وهما دولة الهكسوس وتسيطر على كل من الدلتا ومصر الوسطى ، ودولة المصريين ومقرها طيبة والتى سميت فيما بعد بالاسرة السابعة عشرة التى امتدت من أسوان جنوبا حتى القوصية فى مصر الوسطى شمالا. ولعل استقلال كوش فى تلك الفترة يفسر سبب انتشار العناصر المميزة لحضارة كرمة فى منطقة حضارة المجموعة الثالثة فى آخر مراحلها .

والوثائق القليلة من أواخر العصر الإضمحلالى الثانى التى تحدثنا عن قيام تلك الدولة فى شمال السودان حتى الآن كلها مصادر مصرية :

١ — أهمها لوح كاموسى ثانى ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية الذين رفعوا راية الثورة على الهكسوس (انظر احمد بدوى : فى موكب الشمس الجزء الثانى ص ٣٥٤/٣٥٥ ؛ Lacau Ann. du Serv. 39, p. 254, pl. 37/38 مضافا إليها ما يبدو أنه نسخة أخرى مكتوبة على اللوح المدرسى المعروف بلوح كارنارفون Gardiner, JEA 3 p. 95 ff pl XII, XIII, وفيه تأكيد لوجود دولة مستقلة فى كوش ، حدودها الشمالية عند القنتين ، وفى اللوح يسجل كاموسى كيف جمع رجال بلاطه ليستشيرهم فى الموقف السياسى ، فيقبلون عليه ممجدين قوته ، ويرد عليهم بقوله « وما فائدة قوتى

طالما هناك أمير فى أواريس وآخر فى كوش وأنا أجلس هنا بين آسيوى وبين جنوبى ، وكل واحد منهما يمتلك جزءاً من مصر ويقتسمان البلاد معى » .

٢ — ومن حسن الطالع أن نعثر حــديثا على لوح آخر : — Säve Söderbergh, Kush IV 54—61 عليه نص ربما كان تكملة لذلك الموجود على لوح كاموسى المذكور ، ويشتمل على معلومات ذات قيمة عن الدور الذى كان يلعبه حاكم كوش فى ذلك الوقت ، وعن مركزه بين غيره من الحكام الذين تقاسموا الملك فى وادى النيل ، وهنا يحدثنا كاموسى أنه استطاع أن يأسر مبعوث ملك الهكسوس وهو فى طريقه جنوبا يسعى إلى حاكم كوش « على طريق الواحة » ، أما الرسالة التى لاشك أنها كتبت بالمصرية والتى حملها الرسول فقد دونت بنصها على اللوحة التذكارية وفيها صورة من صور الدبلوماسية التى كانت سائدة حينذاك . فبعد المقدمة بما فيها من تحية نجد ملك الهكسوس يعاتب حاكم كوش بقوله « لماذا لم تعطنى علما عندما أصبحت حاكما » ثم يدخل فى صلب الموضوع طامعا فى كسب حاكم كوش إلى جانبه فى صراعه المرتقب مع المصريين فى طيبة « حتى يمكن اقتسام مصر بيننا » كما جاء فى الرسالة ،ومن وجهة نظر المؤرخ فإن خليفة حاكم كوش المقصود فى الرسالة ، قد وقف على الحياد ، هذا إذا لم يكن قد انحاز إلى جانب المصريين ، وذلك ظاهر من وجود قوات مساعدة من النوبة مع القوات المصرية فى نهاية مرحلة صراعها لطـــرد الغزاة عن وادى النيل .

٣ — وفى المرتبة الثانية من الأهمية يأتى لوحان عثر عليهما فى بوهين :

(ا) الأول فى متحف الخرطوم يحمل رقم ١٨ ويخص الموظف « أياح وسر » ويدعى أنه كان فى خدمة الحاكم الكوشى فيقول : « كنت خادما شجاعا لحاكم كوش ، ولقد غسلت قدمى فى مياه كوش (دليلا على الولاء) أثناء مرافقة الحاكم . . . ثم عدت لأسرتى سالما معافيا » وقد اتفق على أن هذا اللوح يرجع إلى أيام الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع ضد الهكسوس. وفى هذا النص يؤكد الموظف أياح وسر — الذى يعتقــد أنه من أصل مصرى ، إخلاصه لحاكم كوش الوطنى ، ولا شك كذلك أن عودة هذا الموظف من رحلته مع حاكم كوش كانت إلى بوهين حيث أقام هذا اللوح.

(ب) أما اللوح الثانى الذى عثر عليه فى بوهين فصاحبه يحمل اسم سبد حور قد كان فى خدمة حاكم كوش المستقل (متحف فيلادلفيا رقم ١٠٩٨٤ Mac—Iver and Wolley, Buhen, p. 113.) ويرجع تاريخ هذا اللوح إلى نفس العصر السابق . ويتباهى سبد حور بأنه كان قائداً فى بوهين وأنه قام ببناء معبد للإله حورس هناك « ليسر به حاكم كوش » ، وقد يظن هنا أن المقصود «بحاكم كوش» هو «ملك مصر» أيام الدولة الحديثة إلا أنه ما دام المؤكد أن « حاكم كوش » فى اللوح الأول يقصد به فعلا الحاكم المحلى لدولة كوش ، وحيث أن اللوحين ينتميان إلى نفس المجموعة، فليس هناك ما يمنع من اعتباره المقصود ايضا «بحاكم كوش» فى اللوح الثانى . وبناء عليه يمكننا القول بأن «حاكم كوش» المحلى كان يستعين بعدد من المصريين للخدمة فى دولته التى امتد سلطانها على كل منطقة سهل كرمه ثم شمالا حتى الفنتين عند حدود مصر الجنوبية أيام الدولة القديمة . والظاهر أيضا أن تلك الدولة المستقلة ازدهرت وعاشت أكثر من جيل وكان حكامها يتمتعون بمنزلة رفيعة فى وادى النيل .

ومن المؤسف حقا ان آثار السودان فى تلك الفترة (١٧٣٠ — ١٥٨٠ ق . م) لم تمدنا بمعلومات تاريخية تستحق الذكر، فلم نعثر لأصحاب تلك الحضارة بعد على آثار مكتوبة وإنما جل اعتمادنا على المصادر المصرية القليلة التى تحدثنا باختصار عن تلك الحضارة ، ثم على نتائج علم الآثار والدراسات المقارنة لمخلفات أهل البلاد . وفى الواقع أن حملة إنقاذ آثار بلاد النوبة قد أمدتنا وسوف تمدنا بمعلومات أوفى وأدق عن تفاصيل تلك المرحلة وخصوصا عندما تظهر التقارير الكاملة لأعمال الحفر التى اشتركت فيها البعثات من مختلف الدول .

ولما انتهى الأمر فى مصر بطرد الهكسوس تطلع ملوك مصر إلى تأمين الحدود الجنوبية ، فاتجهوا إلى إعادة إرتياد النوبة وتأمينها ويعتقد البعض Arkell History, p. 80. ff أن ذلك قد بدأ فعلا منذ أيام كاموسى آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة معتمدين على حقيقة تسجيل اسمه بجانب اسم خليفته أحموسى على إحدى الصخور عند إرمنا شرق

Erminna—East وتتضح الأمور التى حدثت فى النوبة على يدى أحموسى هذا أكثر فأكثر ، والظاهر أنه وصل حتى بوهين وسيطر على المنطقة ما بين الشلالين الاول والثانى فقد ادت الحفائر التى أجريت تحت معبد أمينوفيس الثانى فى بوهين بعد نقله إلى العشور على عتب لأحد الأبواب يحمل اسم أحموسى من بقايا معبد أقامه الملك خارج أسوار القلعة التى أنشأها ملوك الدولة الوسطى من قبل ، ومن هنا يتضح أنه ربما قام أيضا بتوسيع القلعة لكى تضم معبده الجديد . وبالإضافة إلى ذلك عثر على جزئين لتمثال أحموسى فى جزيرة صاى وكذلك نقش يحمل اسم الملك واسم زوجته هناك .

J. Vercoutter "New Egyptian texts from the Sudan", Kush IV, 66—82.

J. Vercoutter "Excavtions in Sai 1955 — 7" Kush VI, 144—169.

أما السجل الوافى لأعمال أحموسى الحربية فى جنوب الوادى فقد أمدنا به أحد رجاله المخلصين وهو أمير الأسطول أحموسى بن إبانا وذلك مسجل على جدران مقبرته بمدينة الكاب Breasted A.R, II, 39 فيذكر أنه أبحر جنوبا مع الملك إلى مكان يدعى « خنت — حن — نوفر » ، ولا شك أنه إسم أطلق على مكان ما من بلاد النوبة ، وذكر أن ساكنى المنطقة هم « اليونوبجتيو » وهم النوبيون أصحاب الأقواس وهو اسم عام ، ربما قصـد به قبائل البجا أسلاف البشاريين الحاليين . ويستطرد صاحب السجل فيقول أن موقعة كبيرة قد دارت بينهم مما يدل على ضخامة القوات التى حاربها أحموسى ، ورغم انتصار أحموسى فى هذه المعركة فإن الثورة قامت من جديد تحت زعامة أمير محلى يدعى آآتى كان يمتلك أسطولا نهرياً ، حينئذ خرج له أحموسى وتلاقيا عند تنت — تا Tint-ta وهو مكان تكثر فيه المياه ولا نكاد نعرف مكانه على وجه التحديد ، وهناك أخذ الأمير أسيراً ومعه كل أفراد عشيرته . ولم يستقر الأمر لأحموسى بعض القضاء على تلك الثورة كما كان يتمنى ، وإنما تبع ذلك قيام أمير محلى آخر بالثورة ، وقد كان ذلك الأمير يحمل اسماً مصرياً هو تتى — عن (تتى الجميل) ، ولا شك أن حمل الأسماء المصرية من هـــذا القبيل إنما يرجع إلى تمصر الخاصة من أهل كوش نتيجة للعلاقات المستمرة مع

أهل الشمال فى مصر : وبعد أن جمع تتى — عن من حوله نفرا من الاتبـاع الثائرين تصدى له أحموسى « وقتله وفرق شمل جماعته » .

وانتهت ايام احموسى الأول . إلا أن سجل أمير الأسطول أحموسى ابن ابانا » يستمر فى ذكر حوليات الملك امينوفيس الأول فى الجنوب فيقول : « ان جلالته ابحر جنوبياً إلى كوش ليوسع حدود مصر » Breasted A.R., II, 39 ff , Sethe Urk IV, 6, ff ومعنى ذلك أن كل ما فعله الملك سنوسرت الثالث أيام الدولة الوسطى فى بلاد النوبة قد ضاع . « وضرب جلالته قائد الجيش الكوشى » وفى هذه الإشارة ما يؤكد الاعتراف بوجود جيش لدولة كوش على رأسه قائد محلى ، ويستطرد النص فيقول : « وبعد أن ساق كل قومه مع قطعانهم عاد الملك مبحراً إلى مصر فى رحلة استغرقت يومين » ، ولعل تلك الحملة هى نفسها التى أمر أمينوفيس الأول بتسجيلها على الصخور عند أورونارتى والتى وقعت فى العام الثامن من حكمه.

وفى أقوال أحد أمراء إقليم الكاب المدعى حورمين Sethe, Urk IIV p. 77 من ذلك العهد ما يشير إلى أن إقليم الكاب قد اتخذ المركز القديم الذى كان لأسوان من قبل ، ذلك أن حاكم الإقليم الثالث من أقاليم الصعيد هذا قد أصبح مشرفا على أقاليم الجنوب فيما وراء الشلال الأول (أنظر أحمد بدوى فى موكب الشمس الجزء الثانى ص ٣٨٧ ، ٣٨٨) وقد عثر فى جزيرة صاى على لوحة هامة فى داخل القلعة وعليها الألقاب الملكية للملك أمينوفيس الأول كاملة Vercoutter Kush IV, p. 75 كما عثر هناك أيضاً على لوحين صغيرين يحملان اسم نفس الملك وكذلك على تمثال لنفس الملك أيضاً (أنظر نفس المرجع السابق ص ٧٧ — ٧٩) وكل ذلك يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن أمينوفيس الأول قد بلغ فى تقدمه جنوباً حتى صاى وأنه عمر هناك .

وكانت مهمة تحوتمس الأول (١٥٣٠ — ١٥٢٠ ق . م) هى إتمام العمل والتقدم إلى ما وراء الشلال الرابع عند Kurgus ويحدثنا أحموسى بن إبانا السالف الذكر أن تحوتمس الأول قد واجه ثورات فى بلاد النوبة ، فركب النيل مصعداً إلى خنت — حن نوفر وهو نفس المكان الذى ذهب إليه

أحموسى الأول من قبل ، وذلك ليقوم بالقضاء على الثورة فى تلك البلاد ، وليضع حداً لجرأة أهلها .Sethe, Urk. IV, 8, 36 وقد استطاع الأسطول بشق الأنفس الخروج من منطقة الشلالات إلى سهل كرمة حيث الوطن الأصلى للأمير المحلى ، وهناك قامت معركة كبيرة سقط فيها قائد الجيش الكوشى وسيقت جماعته أسرى . وعن هذه المعركة يحدثنا أحد رجال الملك ويدعى أحموسى الكابى وكذلك أحد الآثار للملك عند Tangur فى منطقة بطن الحجر Sethe, Urk. IV, S, 82, ff وكان المعتقد حتى وقت قريب أن تحوتمس الأول لم يتقدم جنوباً إلى أكثر من Tumbus حيث ترك لوح الحدود المشهور خلف منطقة الشلال الثالث .Sethe, op. cit S.82 هنالك يذكر أن أملاكه امتدت من « قرن الأرض » فى الجنوب حتى أطراف المياه المعكوسة» . وقد تردد ذكر تلك الحدود الجنوبية فى النصوص التى تركها رجل الدولة المصرى المدعو إننى Ineni فى قاعة الكرنك -Breasted AR, 101 ,II الذى عاش منذ زمن أمينوفيس الأول حتى أيام تحوتمس الثالث ، وكذلك عثر على أثر لتحوتمس الثانى فى أسوان Breastsd AR, II,119 22; Sethe Urk IV, p. 139 وفى الحقيقة ، لا نستطيع تحديد المكان المقصود بكلمة « قرن الأرض » التى تكرر ذكرها فى تلك النصوص باعتبارها تمثل أقصى الحدود الجنوبية للتقدم المصرى أيام الدولة الحديثة .

ولقد أثبتت الأبحاث حديثاً وجود نقش آخر للحدود عند Kurgus إلى الجنوب من أبى حمد — راجع Arkell JEA, XXXVI p. 36ff حيث نهاية الطريق الصحراوى الذى يبدأ عند كورسكو أو كوبان فى النوبة السفلى ويختصر المسافة بتجنب المرور فى منطقة الشلالات الثانى والثالث والرابع ، هناك على إحدى الصخور صور تحوتمس الأول على هيئة الأسد أمام المعبود آمون رع . ولا يستبعد أن بقايا القلعة القديمة الموجودة بالقرب من النقش السابق ذكره عند Kurgus قد بنيت زمن الملك تحوتمس الأول .

وفى حجر المروا Hagar-el- Marwa عثر على اسم الملكة زوجة تحوتمس الأول مسجل على إحدى الصخور ضمن نقوش أخرى يحمل بعضها اسم تحوتمس الأول .

الفصل الرابع

كوش تستعد لدور قيادى فى وادى النيل

(١٥٨٠ — ٧٥٠ ق . م)

أثر الحضارة المصرية :

يستطيع من يتتبع أثر الحضارة المصرية وانتشارها فى بلاد النوبة وشمالى السودان أن يرى خطوات من التقارب والاقتباس تبـدأ من طبقة الأمراء المحليين ، وبعدها يسعى العامة أيضا للأخذ بأسباب تلك الحضارة المتقدمة . وفى نهاية العصر الوسيط الأول ظهر لنا أن السدود التى كانت تفصل بين حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة بدأت تزول تدريجيا عندما تكونت فى السودان الشمالى حكومة محلية مركزية موحدة . فتجد أصحاب حضارة المجموعة الثالثة فى مرحلتها الأخيرة ينتهجون الأسلوب المصرى فى دفن موتاهم فبعد أن كان المألوف أن يوسد الجسد على جانبه الأيمن بينما الرأس فى اتجاه الشرق بحيث يتجه الوجه إلى الشمال Junker Ermenna p.15. نراهم الآن يدفنون موتاهم بحيث يرقد الجسد على جانبه الأيسر والرأس ناحية الشرق على الطريقة المصرية السائدة فى ذلك الوقت (أنظر نفس المرجع السابق ص ٤٩) .

ومع إعادة الاتصال أيام الدولة الحديثة أخذت تظهر فى شتى أنحاء النوبة وشمالى السودان عناصر مصرية عرفت طريقها إلى أهل المنطقة ، ولم يكد عصر تحوتمس الثالث يبدأ حتى اختفى الشكل المحلى المعروف للمقابر ، فبدلا من الكوم القديم Tumulus انتشرت المقابر المصرية الشكل والتصميم : فمن مقابر صخرية إلى مقابر على شكل أهرامات صغيرة كالتى عرفت فى دير المدينة بطيبة :

(A. Lhote, LesChefs-D'Oeuvre de La Peinture Égyptienne, Paris 1954, Pl. 170.)

وأصبحت المراكز الحضارية مثل عنيبة وبوهين وغيرها تشبه فى مظهرها إلى حد كبير المدائن المصرية ، هذا مع العلم بأن النزعة إلى تقليد العادات المصرية التى أصبحت طابع ذلك الزمن قد جعلت مهمة الباحث الحديث غاية فى الصعوبة حيث تعذرت التفرقة بين ماهو مصرى وما هو من أصل محلى. فالباحث فى مخلفات حضارة ذلك العصر يعثر فى المقابر على التوابيت والتماثيل الصغيرة التى تعرف باسم المجاوبين والتى كان الغرض منها فى عقيدة المصريين أن تقوم مقام صاحب المقبرة للعمل فى حقول أوزريس ، كل يوم فى العالم الآخر فعندما يطلب منها ذلك عليها أن تجيب نداء أوزريس وبلغ عددها فى بعض المقابر ٣٦٥ تمثالا صغيراً بعدد أيام السنة المصرية ، كما عثر على جعارين وتمائم وأوان مصرية وغيرها مما يطول تعداده من عناصر الحضارة المصرية وكان الجعل (أو الجعران) يرمز إلى إله الشمس فى الصباح، فحسب العقيدة المصرية كانت الشمس تصعد إلى كبد السماء مدفوعة بواسطة جعل كبير غير مرئى كما أصبح رسم الجعل يعنى « الكينونة » أو الدوام فى لغتهم .

ولكى نكون موضوعيين فى نظرتنا للأمور ينبغى أن نفرق بين طبقة الحكام من الأمراء المحليين وبين عامة الشعب عند البحث فى مظاهر تغلغل عناصر الحضارة المصرية فى حياة أهل كوش أيام الدولة الحديثة . وبالإضافة إلى ذلك كانت رسوم مقابر الأمراء وأسماؤهم ذات طابع مصرى مما يدل على أن هؤلاء القوم قد اعتبروا الحضارة المصرية القديمة مثلهم الأعلى . فلو نظرنا مثلا إلى مقبرة الأمير حقانفر Heka—Nefer أمير عنيبة أيام توت عنخ آمون لوجدناها صورة من المقابر الصخرية المنتشرة فى مصر وعلى الأخص فى طيبة :

(W. Kelly Simpson, Heka—Nefer, Publications of the Pennsylvania—yale Expedition to Egypt, No. 1, New Haven and Philadelphia 1963.)

ولهذا الأمير أهمية خاصة بالنسبة لدراستنا، فنحن نعرفه من قبل من خلال رسوم الجزية المصورة فى مقبرة حوى نائب الملك فى كوش أيام توت عنخ آمون ، هنالك صور الأمير حقانفر فى مقدمة الأمراء المحليين الذين حضروا

لتسليم الجزية السنوية، وإلى جانب صورته الملونة تلوينا صادقا أضاف الفنان اسم الأمير دون سائر الأمراء المرافقين . وعند فحص مقبرة هذا الأمير فى عنيبة نجد فوق مدخل المقبرة مباشرة مقصورة صغيرة تحتوى على لوحة منحوته فى الصخر وأمامها مكان يتسع لوقوف الزائر وعلى جانبيها قواعد لوضع التماثيل وهى فى مجموعها تشبه التفاصيل الموجودة فى مقابر دير المدينة، ومن أجل ذلك افترض William K. Simpson وجود هرم من نوع أهرامات دير المدينة كان مقاما فوق المقبرة قبل أن تقضى عليه عوامل التعرية، أما تصميم المقبرة من الداخل فهى تعتبر صورة من مقابر طيبة أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة . . فبعد المدخل ذى النقوش يوجد ممر ثم قاعة بها مشكاة ثم قاعة أخرى على امتداد المحور بها أربعة أعمدة مربعة وفى أرضيتها فتحة عميقة توصل إلى غرفة الدفن . وقد غطيت جدران القاعة الأولى بالطين ثم طليت بالجص وبعدها رسمت وزينت بالمناظر المألوفة ، وقد أمكن بصعوبة التعرف على هذه المناظر ولقد يبدو أنها من عمل فنان من طيبة من أولئك الذين أسهموا فى تجميل معبد عنيبة الذى يقع فى نفس المنطقة . وبالإضافة إلى طراز القبر فإن ما أمكن العثور عليه بداخله من الآثار ليقوم دليلا آخر على تغلغل عناصر الحضارة المصرية بين أولئك القوم حتى فى أشد خصوصيات الشعوب ، ونقصد بذلك المقابر. وفى طريقة الدفن عثر مثلا على أربعة تماثيل صغيرة = تماثيل المجاوبين بالإضافة إلى أوان من الألبستر وبقايا عقود زينة .

وهناك غير مقبرة حقانفر مقبرة خاصة بالأمير جحوتى حتب أمير دبيرا أيام حتشبسوت (Wild, Kush VII, p. 76) وتعتبر صورة طبق الأصل من مقابر طيبة ، هذا بالإضافة إلى أن أسماء صاحب المقبرة وزوجه كلها مصرية إلا أن والديه يحملان أسماء محلية ، وواضح من ذلك إلى أى مدى وبأى سرعة أخذ أهل كوش بمظاهر الحضارة المصرية .

ومن أهم المصورات المسجلة لمناظر مواكب تقديم منتجات كوش وجزيتها فى الدولة الحديثة تلك الموجودة فى مقابر نواب الملك فى كوش والمنحوتة بالبر الغربى بطيبة وفيها مصادر وفيرة تبين مدى التأثير المستمر لعناصر الحضارة

المصرية على أهالى تلك البقاع من أرض كوش . وإذا تجاوزنا عن بعض التفاصيل يمكن القول بأن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية يرتدون الأزياء المصرية ، ويلاحظ أن رجال البلاط والأتباع يلبسون أيضا أزياء مصرية ، إلا أن ما سيق فى أعقابهم من أعداء قد احتفظوا بزيهم الخاص ولم تؤثر فيهم حضارة مصر ربما لبعدهم عن مراكز تلك الحضارة التى وقفوا منها موقف العداء . كل ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الحضارة المصرية قد وجدت سبيلها إلى كوش على يد أولئك الأمراء وأتباعهم .

وكان للفنانين المصريين دور كبير فى نشر الفنون ذات الطابع المصرى فى ربوع كوش فكثيراً ما وفدوا إلى كوش فى مهام رسمية للإسهام فى إقامة المنشآت المعمارية العديدة . وتذكر النصوص المسجلة على إحدى اللوحات التى عثر عليها فى كوة أن فنانى منف هم الذين أسهموا فى بناء معبد كوة ، كما أسهموا فى بناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل البركل ، ولا شك أن هؤلاء الفنانين المهرة قد ساعدوا على خلق جيل من الفنانين المحليين الذين أخذوا يشاركون فى تطوير الفنون المحلية ، وظهرت نتيجة هذا الاتصال فيما نراه من الآثار التى عثر عليها فى المقابر كأدوات الزينة والأثاث والملابس والأوانى .

وبدراسة مقارنة لمنتجات كوش المسجلة على جدران مقابر الدولة القديمة من قبل ثم من بعد عصر العمارنة يتضح لنا مدى التقدم الذى أحرزه الفنانون المحليون ، فبالنسبة لفترة ما قبل عصر العمارنة نأخذ المصورات والرسوم المسجلة على جدران مقبرة آمون موسى على سبيل المثال JEA 26, pl. 23f and Wreszinski. Atlas 1, 285) ومقبرة رخميرع ، ويلاحظ أن أغلب ما تقدمه كوش إنما يتمثل فى المواد الخام . أما فترة العمارنة وما بعدها والممثلة على جدران مقبرة حوى ومقبرة قن آمون خير تمثيل فنتبين من خلال رسومها مدى التقدم الذى أحرزته كوش فى مختلف الفنون اليدوية مثل صناعة الأثاث والعجلات ومراوح ريش النعام والأقواس والدروع .

وبطبيعة الحال استمر عدد من القوات المصرية مقيما بالبلاد بعد

الفتح للإشراف على حفظ الأمن كما استدعت الأمور الاستعانة بعدد من رجال الإدارة المدربين من مصر للعمل فى المراكز الحضارية ، فعملوا على إنشاء جهاز إدارى منظم على نمط ما كان موجوداً بمصر فى ذلك العهد ، وكان من نتيجة ذلك أن استقر عـديد من العائلات المصرية فى تلك المراكز الحضارية .

ولقد بدأت تلك المحلات الحضارية تغير من طبيعتها مع بداية الدولة الحديثة عندما انتقلت الحدود جنوبا حتى الشلال الرابع ، ففقدت القلاع القديمة أهميتها وبدأت تتخذ شكل المدن الكبيرة حيث استخدمت حصونها القديمة لحفظ كنوز معبد المدينة ، وبالإضافه إلى المراكز الحضارية القديمة أنشئت مدن جديدة وكان الغرض منها المساهمة فى ازدهار التجارة، فعملت كأسواق لتبادل منتجات مصر وكوش . فعلى الجانب الغربى للنيل عند الدكة فى مواجهة قلعة كوبان قامت محطة حضارية مأهولة بالسكان أيام الدولة الحديثة كما أثبت فيرث عندما قام بحفائره هناك، وتحولت قلعة كوبان إلى مدينة مفتوحة (مجلة اليونسكو يناير ١٩٦٥ ص ٧ ، ٨) ولقد عثرت مصلحة الآثار المصرية على معبد للإله حورس فى كوبان يقع تحت طريق الكباش الخاص بمعبد الدكة وذلك عند فك المعبـد الأخير تمهيداً لإنقاذه ، أقامه تحتمس الثالث وهكذا أظهرت الصدفة ذلك المعبد الذى كثيراً ما أشارت إليه الآثار من قبل والذى خصصه تحتمس الثالث لعبادة الإله حورس القائم على الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب فى تلك المنطقة . وهناك أيضاً قام رمسيس الثانى ببناء معبد له .

كما أصبح لعنيبة عدة ضواحى بعد أن اتخذت شكل المدينة المحصنة . وفى « فرص » بنيت معابد لـكل من الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث والملك توت عنخ آمون من ملوك الأسرة الثامنة عشرة . كما تدل النقوش التى عثر عليها فى « تحنوت — سيرا » على أن تلك البقعة كانت مقراً لأسرة محلية حاكمة . وازدهرت بوهين كذلك واتسع نطاقها . أما فى منطقة الشلالات حيث القلاع التى أقامها ملوك الدولة الوسطى ، فظهرت مجموعة من المعابد الصغيرة . وفى المنطقة الاستراتيجية الهامة ما بين وادى حلفا وكرمة على الجانب الغربى أقام ملوك الدولة الحديثة عـدداً من القرى المحصنة فى عمرة الغرب ، وصاى،

وسدنجا ، وصوليب ، وسيسبى كان الغرض منها حماية المنطقة من غارات القبائل التى كانت تقطن الصحراء الغربية وتهدد بين الحين والحين بقطع طرق المواصلات والتجارة . كما قام أمينوفيس الثالث بتأسيس مدينة كوة بمعبدها الشهير فى نفس المكان ، وهناك أيضاً أقام توت عنخ آمون معبداً. ولعل ذكر نبتة كمدينة محصنة تقع فى أقصى الجنوب أيام أمينوفيس الثانى هو أول ذكر لها فى التاريخ المصرى القديم (انظر لوحـــة عمدا فى Urk IV, 1297, 15.) .

وحتى الآن تشير أقدم آثار البناء فى كوة إلى أن تحتمس الرابع كان أول من أقام بناء فى تلك المنطقة، كما أن اللوحة الكبيرة التى عثر عليها هناك فى الموقع ٥٠٠ ب إنما ترجع إلى زمن تحتمس الثالث وفى عمدا أقيم معبد اشترك فى تشييده كل من تحتمس الثالث وأمينوفيس الثانى وتحتمس الرابع (Gauthier Amada, 191) وعند الدر تم بناء معبد آخر . أما معبد كلابشة فأغلب الظن أنه شيد أيام أمينوفيس الثانى ولاشك أن سلسلة المعابد الصخرية فى بيت الوالى وجرف حسين ووادى السبوع والدر وأبو سمبل التى أقامها رمسيس الثانى فى منطقة النوبة السفلى إنما تشير إلى المحاولات الجدية لنشر الحضارة المصرية فى ربوع تلك البلاد . فقد قامت تلك المراكز الحضارية التى انتشرت فى منطقة كوش بدور الوسيط فى نقل نماذج ملموسة من نتاج الحضارة المصرية المتطورة لتكون فى متناول أهل البلاد .

وقد عثر على كثير من السلع المصرية منتشرة فى مقابر أهل تلك المنطقة جلبها إليهم التجار المصريون الذين شاركوا بنصيب فى نشر الحضارة . ولقد قامت المعابد بدور كبير فى نشر العقائد والثقافة المصرية . وكانت المعبودات الطيبية هى أوسع المعبودات انتشاراً فى كوش حيث أصبحت نبتة مثل طيبة ، مقراً رسمياً لمعبود الدولة آمون رع الذى قدس هناك باعتباره «سيد الوجهين القائم على جبل نبتة المقدس» ، وقد لعبت عقيدة حورس دوراً كبيراً أيضاً حيث انتشرت فى الجزء الشمالى من كوش، فبين الحين والحين نقابل الإله حورس فى كوبان ، وحورس فى عنيبة وحورس فى أبو سمبل ثم حورس فى بوهين . هذا وقد استمر تقديس الثالوث القديم لمنطقة الشلال الأول وهو خنوم ـ ساتيس ـ

عنوقيس ، ولكن هذا الثالوث لم يظهر فى المعابد على اعتبار أنه ضمن الآلهة الرئيسية للبلاد . أما عادة تقديس الملوك فكان لها شأن كبير فى كوش وعلى سبيل المثال اعتبر الملك سنوسرت الأول والملك سنوسرت الثانى ، وكذلك تحتمس الثالث وأمينوفيس الثالث وتوت عنخ آمون ورمسيس الثانى حراساً للبلاد .

وهكذا نجد أن انتشار العقائد المصرية فى كوش قد مهد لانتشار الحضارة المصرية ، والواقع أن سياسة الدولة الحديثة تجاه كوش كانت تهدف إلى التعاون مع أهل البلاد فسمح للأمراء المحليين أن يستمروا فى حكم مقاطعاتهم ومدنهم كما كان يسمح لأبنائهم بأن يتربوا فى القصر الملكى مع أولاد الملك ليألفوا الحضارة المصرية .

فبعد أن ضمت كوش إلى مصر ثانية فى أوائل أيام الدولة الحديثة وضع للبلاد نظام إدارى على غرار ما كان موجوداً فى مصر ، فأصبحت البلاد بقسميها واوات وكوش تحت إشراف أحد كبار رجال الدولة ، وكان يختار من بين رجال الدولة المصريين ولم يكن من الأسرة المالكة ويحمل لقب نائب الملك فى البلاد الجنوبية ، ثم أصبح يلقب بنائب الملك فى كوش . ويلاحظ أن معظم من حملوا هذا اللقب أصلهم من طيبة . وقد تركوا لنا آثاراً عديدة وبخاصة فى دائرة عملهم ، بعضها عبارة عن نقوش صخرية وبعضها تماثيل ولوحات ، وأحيانا أخرى تركوا مقاصير كاملة كما هو الحال فى قصر إبريم وجبل الشمس .

(L. Habachi. Kush VII, pp. 45—62; Porter—Moss VII, 92—3 and p 132)

وطبقاً لعادات المصريين فإن مسألة إقامة المقاصير ودور العبادة بأنواعها كانت وقفا على الملوك وأفراد أسرهم ولم يكن لتماثيل الأفراد محل فى دنيا المصريين إلا فى المقابر . ولم يحدث فى تاريخ مصر القديم خروج على تلك القاعدة إلا فى حالات معينة وبأمر الملك فى حدود معلومة كما هو الحال مثلا بالنسبة لايمحتب أيام زوسر فى الأسرة الثالثة، ثم عندما منحت الملكة حتشبسوت

وزيرها ومهندسها سنموت الإذن بإقامة تمثاله فى معبدها بالدير البحرى بطيبة. إذن فإقامة مقاصير العبادة بواسطة نائب الملك فى كوش إنما تشير إلى مدى النفوذ المطلق الذى منحه الملك المصرى لشاغل ذلك المنصب . وينبغى أن نقرر أن اسم الملك قد ظل يحتل مكان الصدارة بين نقوش تلك المقاصير دون سائر أسماء المعبودات المصرية التى عودتنا نقوش النوبة ذكرها . كما لم يرد ذكر لأسر أولئك الحكام بين نقوش تلك المقاصير .

وكان إشراف نائب الملك فى كوش يشمل المنطقة الواقعة جنوبى مصر التى امتدت من الكاب شمالا حتى نبتة جنوبا وربما إلى أبعد من ذلك . وتحت أمرته العاملون فى الجهازين العسكرى والإدارى وعلى رأسهم قائد الجيش وكان يلقب برئيس فرق الرماة يليه اثنان من المستشارين يختص أحدهم بالجزء الشمالى «واوات» والآخر بالقسم الجنوبى المدعى كوش . ويضاف إلى واجباته الإشراف على جميع شئون البلاد وتقديم الجزية فى ميقاتها المعلوم، فيقوم نائب الملك فى كوش برئاسة الوفد المرافق للجزية ويشرف بنفسه على تسليمها لوزير الخزانة فى احتفال كبير يحضره عدد من الأمراء المحليين الذين يفدون فى صحبة نائب الملك إلى طيبة . ولحسن الحظ فقد سجلت تلك المهراجانات مراراً على جدران مقابر كبار الوزراء أيام الدولة الحديثة باعتبارها من الأحداث الهامة فى حياتهم .

ورغم أن غالبية اسماء من تولوا هذا المنصب الخطير مصرية الجرس ، فليس من المستبعد أن يكون بينهم أحد أبناء البلاد المحليين الذى ربما استطاع بمهارته وحسن ولائه أن يتبوأ ذلك المنصب الهام . وسوف نعود للحديث عن ذلك الموضوع فيما بعد .

وقد يكون من المستحسن أن نستعرض أسماء من حملوا لقب نائب الملك فى كوش منذ ظهوره ، ولعل أحدث ما كتب عن هذا الموضوع ما ظهر فى مجلة كوش :

(L. Habachi, Kush VII, 45—62; J. Černy, Kush VII, 71, 75; Arkell History p. 97 f.

وبعد إضافة الإسمين اللذين عثر عليهما حديثا فى أرمنا شرق، وكذلك الإسم الذى عثرت عليه بعثة جامعة هومبولد يمكننا أن نورد القائمة التالية بأسماء نواب الملك فى كوش :

زمن الملك كاموسى	تتى	Teti
« « أحموسى	جحوتى	Djehuty
« « أحموسى	ساتييت	Sa—Tajyit
« « امينوفيس الأول وتحتمس الأول	تورى	Thuwre
زمن الملك تحتمس الأول والثانى	سنى	Seni
« « حتشبسوت وتحتمس الثالث	نحى	Nehi
« « حتشبسوت	آمون- أم- نخو	Amen-em-nekhu
« « امينوفيس الثانى	وسرساتت	Weser-satet
« « تحتمس الرابع وامينوفيس الثالث	امينوفيس	Amnophis
« « امينوفيس الثالث	مرموسى	Mer-mose
« « امينوفيس الرابع	تحتمس	Tuthmosis
« « توت عنخ آمون	حوى — امينوفيس	Huy-Amenophis
« « آى وحورمحب	باسر	Paser I
« « سيتى الأول ورمسيس الثانى	امينوفيس بن باسر الأول	Amenophis
« « سيتى الأول ورمسيس الثانى	يونى	Yuni
« « رمسيس الثانى	حقانخت	Heqanakht

زمن الملك رمسيس الثانى	باسر الثانى	Paser II
» » » »	ستاو	Sethaw
» » مرنبتاح وامينموسى(؟)	مسوى	Messuwy
» » مرنبتاح سبتاح	سيتى	Seti
» » مرنبتاح ست نخت	حورى	Hori I
» » رمسيس الثالث والرابع	حورى الثانى	Hori II
» » رمسيس السادس		Siese
» » رمسيس السابع والثامن		Nahiho
» » رمسيس التاسع	ونتوات	Wentawat
	رمسيس نخت	Ramses – nakht
» » رمسيس الحادى عشر	بانحسى	Pa—nehesi
» » رمسيس الحادى عشر	حريحور	Herihor
» » حريحور	بعنخى	Piankhy

دور الأمراء المحليين :

واختار المصريون لإدارة كوش نظام الحكم غير المباشر ، فظل الأمراء المحليون على رأس إماراتهم طالما احتفظوا بولائهم لمصر . وقد أشارت النصوص المصرية إلى تلك السياسة السلمية منذ أن لجأت مصر إلى ضم تلك البلاد إليها لتأمينها وتأمين حدودها من غارات قبائل الجنوب ، فيذكر أحد سجلات الدولة الحديثة (Urk, IV, 139. 5) :

« إن هذه البلاد قسمت إلى خمسة أقسام وكان كل أمير مالكاً لقسمه »

ولو فرضنا أن هذا التقسيم ظل معمولا به بعد ذلك ، لأمكن اعتبار كل من جحوتى حتب « باانيس » أمير دبيرا والأمير حقانقر أمير ميعم « عنيبة» ضمن هؤلاء الأمراء المحليين .

معنى ذلك أن أمراء البلاد المحليين اشتركوا فعلا فى إدارة دفة الحكم أيام الدولة الحديثة كل فى منطقته ، وفى نفس الوقت كان عليهم تجاه نائب الملك فى كوش واجبات كان الوفاء بها دليلا على الولاء وشرطاً لبقاء أسرة الأمير على رأس الإمارة . فبجانب الحفاظ على الأمن والقضاء على الثائرين صار عليهم الحضور على رأس وفد إقليمى مع مهرجان الجزية السنوى القادم إلى طيبة حيث يقدمهم الوزير إلى الملك . وتحدثنا الوثائق أنه قد صار اتباع تقليد إرسال أبناء هؤلاء الأمراء إلى قصر الملك ليتربوا مع أبنائه وينشأوا على ولائهم لمصر :

فعلى صفحات مقبرة « إيامو نجح » يقوم صاحب القبر بتقديم أمراء الأقاليم الجنوبية القادمين على رأس وفودهم لتقديم الجزية ، ثم يستطرد « أنهم أهدوا سيد الأرضين أولادهم » . (Urk. IV, 949) وضمن النقوش المسجلة على جدران مقبرة الوزير رخميرع (Urk. IV, 1102) نجد إشارة أخرى عن استدعاء أبناء الأمراء إلى القصر الملكى .

وعندما كان يكبر هؤلاء الأبناء ويأتى الوقت الذى يحلون فيه محل آبائهم ، كانوا يحتفظون بالألقاب التى حملوها أيام نشأتهم فى القصر الملكى فى طيبة . وقد عثرنا على أمثال تلك الألقاب التى ظل أولئك الأمراء يحملونها رغم توليهم حكم أقاليمهم ، كاللقب الذى حمله أمير عنيبة :

Aniba II, 250 f.; Säve-Söderbergh, S, 185, W. K. Simpson, Heka-Nefer, Publications of the Pennsylvania, Yale, Expedition to Egypt Number 1, New Haven and Philadelphia 1963 fig. 3 & 4.

وبمناسبة ذكر عنيبة كمركز لأسرة محلية حاكمة فى منطقة النوبة لا بد أن نشير أيضاً إلى أريكا (Ermenne 37 & 41) ثم تحنوت « سيرا » . ففى دبيرا التى كانت تتبع «سيرا» والتى تقع شرقى النيل وتبعد عن وادى حلفا حوالى ٢٠ كم إلى الشمال ، عثر على قبر أحد هؤلاء الأمراء واسمه جحوتى حتب ويحمل لقب بااتس حاكم تحنوت « سيرا » فى زمن الملكة حتشبسوت وقد

كان والده أيضا حاكما للمنطقة . ويلاحظ أن الأب والأم يحملان أسماء محلية بينما تحمل الزوج وأخ الأمير أسماء مصرية ، وفى هذا إشارة ضمنية إلى سرعة حركة التمصر فى الفترة القصيرة التى سبقت حكم حتشبسوت والتى أصبحت طابع ذلك العصر :

Säve-Söderbergh, S. 123; Statue Khartoum No 92; R. Moss, JEA, 36, 42; H. Wild, Kush VII, F. 87.

وقد أثبتت الحفائر التى أجريت فى القبر الصخرى لهذا الأمير وجود شواهد أخرى تؤكد الأصل المحلى لأسرة الامير جحوتى حتب ، فبالإضافة إلى المناظر الملونة على جدران المقبرة ، والتى تمثل جانباً من جوانب الحياة فى النوبة فى ذلك الوقت كأعمال الحقل والرقصات الخاصة بأهل تلك البلاد ، عثر فى نفس المقبرة على مسند للرأس كالذى استعمل قديما فى كل من مصر والنوبة ولكن صناعته تشبه ذلك الطابع الخاص بحضارة كرمة والمعاصرة للدولة الوسطى المصرية .

وطبيعى أن الباحث لا يستطيع أن يهمل مثل هذا الكشف ، فهو من الناحيتين التاريخية والحضارية جد خطير . فنحن نعرف أن المؤرخ يسعى جاهداً للحصول على مصادر أصلية كى يتمكن من رسم صورة تقرب من الحقيقة لشعب كوش أيام الدولة الحديثة حيث أن جل اعتماده ينصب على المصادر المصرية . صحيح أننا هنا أمام مقبرة أحد أفراد الأسرة الحاكمة المحلية إلا أن بعض المناظر القليلة التى حفظتها الأيام لها صلة وثيقة بطبيعة البلاد وعادات أهلها على الرغم من الأثر الحضارى المصرى الواضح ، يضاف إلى ذلك أن الأمير قد عاش فى زمن الملكة حتشبسوت — أى فى أوائل عصر الدولة الحديثة .

ويقينى أن مناظر الرقصات وغيرها مما سجل على جدران تلك المقبرة تحتاج إلى المزيد من الدراسة ، فالمرء لا يستبعد أن يكون بعض الفنانين المصريين الذين نزحوا إلى النوبة للمشاركة فى إقامة العمائر بأنواعها ، قد اضطر بحكم طبيعة عمله أن يستوطن تلك البلاد ، وبطبيعة الحال كان عليه أن يستعين ببعض

الفنانين المحليين ، ومن هنا يمكن توقع فرص ظهور مدارس محلية جديدة تجمع بين المهارة الفنية المصرية وبين عنصر الإصالة فى التعبير عن البيئة المحلية .

وربما يعترض أحدهم بأن الأمر معكوس،أى أنه فى بداية الدولة الحديثة يتوقع المرء أن يقوم فنانون مصريون فقط بأعمال الإنشاء والزخرفة لعدم وجود جيل متمرن من الفنانين المحليين ، هذا بعكس الحال بعد رسوخ الحضارة المصرية فى بلاد النوبة ، مثلا أيام توت عنخ آمون . ولكن صاحب الاعتراض ينسى أن عهد أصحاب البلاد بالحضارة والفن المصرى خاصة لم يبدأ مع أيام الدولة الحديثة فحسب وإنما سبق ذلك بقرون عديدة ، فمنذ أيام الملك سنوسرت الثالث من الدولة الوسطى وحركة الإنشاء فى مناطق النوبة تعطى لأهل البلاد النموذج الملموس للفنون المتقدمة . وقد لاحظنا ذلك أيام قيام مملكة كوش فى شمال السودان بعد سقوط الدولة الوسطى وهى التى عاصرت زمن الهكسوس فى شمال الوادى حينا من الدهر .

فبالرغم من انعدام المصادر الأصلية عن حضارة تلك الفترة من تاريخ شمال السودان قبل قيام الدولة الحديثة إلا أننا نفترض قيام مملكة كوش على قدم المساواة مع مملكة طيبة ومملكة الهكسوس ، وأن تكون قد أخذت من أسباب الحضارة المصرية بنصيب .

وإذا تأملنا تلك المقبرة نجد أن حائطها الشمالى تحتله مجموعة رسوم ملونة تحتاج إلى إعادة نقل صورها بطريقة أو بأخرى لكى تبدو أكثر وضوحاً ، منها أن صاحب المقبرة وزوجه قد صورا جالسين بينهما مجموعة العازفين والراقصين ، وعلى الحائط الغربى سجل مصور للطبيعة النباتية التى سادت تلك المنطقة من السودان فى ذلك العصر . فنرى صاحب المقبرة واقفاً وفى يده عصاه وهو يشرف على أعماله التى يقوم بها الفلاحون (Thabit H. Thabit Kush V, p. 58) ولعل أهمية هذا المنظر تبدو جلية فى تصوير عدد وفير من الأشجار التى كانت منتشرة ، تصويراً قد يمكننا من التعرف عليها ودراستها ، فهناك أشجار النخيل والدوم والسنط . وجدير بالملاحظة أن تلك الأشجار ما زالت موجودة فى المنطقة .

ولقد صدق الرسام فى تصوير الطبيعة النباتية والحيوانية حينما صور بعض القردة تتنقل بين الأشجار. كما نلاحظ أن الفنان قد صور بعض العمال باللون الأسود وبعضهم باللون البنى، فلعل بعضهم ينتمى إلى أهل الجنوب ، كما تجدر الإشارة إلى تكرار تسجيل هذه الظاهرة ضمن مناظر مهرجانات تسليم الجزية والتى حفظتها لنا الأيام بوفرة ووضوح فى العديد من مقابر طيبة ، وبدون أن نخوض فى مسائل تخص علم الأجناس ، وما دمنا نكتفى فقط بالناحية الحضارية للموضوع ، فإننا نستنتج من هذا التصوير المزدوج وجود نوعين من السكان استوطنا أرض كوش فى ذلك الزمن، وأن العنصر الأسود قد شاع وجوده فى البلاد إلى الدرجة التى أصبح معترفاً به ، فسجلوه ضمن ما سجلوا من مناظر . ومع أن كل الرسوم المسجلة على جدران مقبرة جحوتى حتب لا تكاد تراها العين المجردة نتيجة لفعل عوامل الطبيعة ، إلا أننا نكاد أن نتبين من بينها أيضا صورة صاحب المقبرة فوق عجلته الحربية يتقدمه أحد الجنود أو الأتباع .

وهكذا رأينا كيف شارك الأمراء المحليون فى حكم بلادهم بعد أن ضمتها مصر إليها فى زمن الدولة الحديثة ، وساعد هذا النظام فى استمرار ازدهار بيوتات الإمارة فى كثير من مناطق شمالى السودان ، تلك الإمارات التى وصلت فعلا إلى درجة من التقدم الحضارى منذ سقوط الدولة الوسطى وأخذت تنقل عن الحضارة المصرية طوال أيام الدولة الحديثة لتعد نفسها لدور قيادى فى حياة هذا الوادى ، تنقذ فيه الوادى كله من خطر الانهيار الحضارى وخطر الغزو الأجنبى الذى قدم من الغرب ثم من الشرق . ورغم قلة المصادر التاريخية ، أمكن لرجال الآثار — حتى الآن — الكشف عن مقابر عدد قليل من هؤلاء الأمراء المحليين الذين ساهموا بنصيب فى الحكم أيام الدولة الحديثة من أمثال . حقا نفر فى عنيبة وجحوتى حتب وأبيه ريو ، وقد سبق مناقشة هذا الموضوع .

نشاط أهل كوش فى مصر :

لم يقتصر نشاط رجال كوش اللامعين على بلدهم وحدها ، وإنما امتد

ليشمل مصر أيضا ، فقد اكتسب أهل كوش منذ القدم شهرة كمحاربين شجعان ، كما امتازوا بالأمانة والإخلاص مما مهد لهم تولى بعض المناصب الهامة فى جهاز الدولة المصرية أيام الدولة الحديثة .

رأينا فيما سلف كيف كان ينظر إلى عساكر النوبة بكثير من التقدير ، وكيف استعان بهم أمراء الأقاليم أيام ازدهار الإقطاع على أثر سقوط الدولة القديمة . ثم كيف كان ينظر إلى أهل كوش أيام فترة الانحلال بعد سقوط الدولة الوسطى عندما ازدهرت مملكة كوش المستقلة فى شمالى السودان بينما حكم الهكسوس فى شمالى الوادى والمصريون فى طيبة .

ولما دار الزمن دورته وأعاد ملوك الدولة الحديثة على الوادى وحدته ، أعطى لأمراء كوش سلطة معلومة فى نطاق أقاليمهم . ولقد استمرت شهرة جنود الجنوب فكان الملوك يصرون على استدعاء نفر منهم ليكونوا ضمن حرسهم الخاص ، ففى زمن الملك تحتمس الثالث يرد ذكر اختيار عشرة رجال من كوش ليصبحوا ضمن حرسه الخاص ، (Urk. IV. 695 17) كما يتردد ذكر اختيار جنود من كوش فى الوثائق من زمن الدولة الحديثة ليكونوا من رجال الملك المقربين كحامل المروحة للملك أو قائد العربة الملكية أو حامل العلم (Urk. IV, 16, 5) و (LD 3, 218, c, f) وإذا ما فحصنا ذلك الرسم المسجل على الصندوق الجميل الخاص بالملك توت عنخ آمون نتبين أن حامل المروحة كان من أهل كوش .

ولو أردنا أن نحدد أشخاصاً بعينهم من أهل كوش ممن استطاعوا الوصول إلى مراكز هامة فى إدارة الدولة الحديثة ، لوقفت فى طريقنا عقبة وهى صعوبة التفرقة بين من هو مصرى ومن هو من أهل تلك البلاد نتيجة تمصر الطبقة الحاكمة فى كوش . ورغم ذلك فهناك بعض المحاولات وصلت بنا إلى النتائج الآتية :

١ — عثر فى وادى الملوك بطيبة على مقبرة المدعو ماى — حور — برى May—Hor—Pery وكان صاحب المقبرة هذا يحمل ألقاباً تدل على تمتعه بثقة الملكة حتشبسوت ، ومنها ما يدل على أنه تربى فى القصر الملكى مع أبناء

فرعون ، وأنه شغل منصب حامل المروحة على يمين الملك ، وأنه كان ضمن رفقاء الملك فى تحركاته إلى البلاد الأجنبية فى الشمال والجنوب . وهناك من الشواهد ما يحملنا على اعتبار ماى — حور — برى من أهل كوش ، فإذا لم نأخذ كثيراً فى الاعتبار سواد بشرته الملحوظ فى مومياثه وكذلك شكل جمجمته ثم صوره فى أوراق البردى التى عثر عليها معه ، فإن دراسة مصوراته وبعض مخلفات مقبرته تكاد تؤكد أصله المحلى ، فهناك نماذج من الصناعات والملابس المصنوعة من الجلد تضاهى نظيرتها المميزة لحضارات كوش قبل زمن الدولة الحديثة (Kerma II, 19; Ann. Serv. IV ,46) وكذلك طريقة استعمال الصدف فى صنع عقود الزينة لها ما يماثلها فى كل من حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة . وقد جذب اهتمامى على الأخص زينة الأذن التى تميز بها ماى — حور — برى فقد عثر ضمن مخلفاته على زوج من الأقراط من النوع الاسطوانى المستدير المصنوع من العقيق . وبفحص أذنى مومياثه تبين وجود ثقبين مما يؤكد بما لا يدع مجالا للافتراض أن ماى — حور — برى قد استعمل تلك الحلى التى ميزت أغلب حضارات كوش منذ أيام المجوعة الثالثة وكذا حضارة كرمة واستمر اسـتعمالها هناك أيام الدولة الحديثة وحتى نهاية العصر المروى .

٢ — وصاحب المقبرة رقم ٧٤ بمنطقـة الشيخ عبد القرنة بطيبة الذى يحمل اسما غير مصرى: «ثنى» قد عاش وخدم زمن الملك تحتمس الثالث والملك تحتمس الرابع كسكرتير ملكى (وهى وظيفة ذات طابع حربى) وكقائد حربى، وحمل كذلك العديد من الألقاب التى تدل على مبلغ نفوذه .

فبالإضافة إلى اسمه الذى يحتمل أن يكون مروى الأصل ، والذى كتب بطريقة المقاطع ، وهى الطريقة التى اتبعها المصريون فى كتابة الأسماء الأجنبية الغريبة على الأصوات المصرية هناك لون بشرته المائل إلى السواد . كما تذكرنا الطريقة التى صور بها بتلك الصورة التى عثر عليها ضمن مقابر المحاربين النوبيين أصحاب تلك المقابر المساة (Pan—graves) والتى انتشرت بين الشلال الأول وبين دير ريفة بالقرب من أسيوط فى العصر

الوسيط الثانى حتى أيام طرد الهكسوس . والمعتقد أن لهم صلة وثيقة بكتائب المحاربين (Mj 3 w) التى استعان بها ملوك التحرير لطرد الهكسوس من مصر فى مطلع الدولة الحديثة . هذا وقد أطلق العالم الألمانى زيته على صاحب هذا الرسم لقب البشارى نسبة إلى قبائل البشاريين التى يعتقد أنها تنتمى إلى نفس قبائل «المجا» القديمة، كما يلاحظ التشابه بين التسميتين . وكذلك يحتمل أن «ثنى» هذا قد وفد إلى مصر مع أمثال تلك الفرق النوبية المحاربة وأنه تدرج فى المناصب حتى وصل إلى منصبه الحربى الهام كقائد .

٣ — وفى زمن تحتمس الرابع عاشت فى طيبة عائلة المدعو حور محب وقد أثارت اهتمامنا ، فقد صور ثلاثة من افراد تلك العائلة على جدران المقبرة رقم ٧٨ فى طيبة بشكل يختلف عن العرف الذى ساد فى ذلك العصر بزينة هى فى صميمها عادة قديمة لأهل كوش . نقصد بذلك الأقراط المستديرة ذات الحجم الكبير نسبيا . وهم ثلاثة أخوة حملوا جميعا أسماء مصرية ، أما أحدهم فحمل لقب رئيس فرق المجا وهى فرق البوليس النوبية ، كما يلاحظ أنه قد صور وفى يده قوس ، ذلك السلاح الذى طالما برع سكان جنوب مصر وشمالى السودان فى استعماله حتى أصبح علما عليهم ، فلقبهم المصريون من قديم الزمن باسم أصحاب الاقواس ، من تلك الشواهد :التحلى بالأقراط المستديرة ، وتزعم فرق البوليس النوبية ، والتباهى بحمل سلاحها المميز ، بالإضافة إلى تسجيل مناظر تسليم حاصلات الجنوب ضمن مناظر المقبرة ، مع التجاوز عن الاسماء المصرية التى حملها أفراد الاسرة ، والتى قد يكون مردها إلى موجة التمصر التى ميزت ذلك العصر من تاريخ السودان الشمالى — يمكن مع التحفظ اعتبار تلك العائلة من أصل محلى .

٤ — وهناك حالة أخرى من أيام الرعامسة تستحق الدراسة : ففى قرية صغيرة تسمى حاليا نجع البقع جنوبى دبود فى النوبة المصرية نجد أن أحد كبار موظفى الدولة المدعو نخت — مين وهو ناظر خاصة الملكة ، يوصى بأن تكون تلك القرية الصغيرة النائية مستقره الأخير . مع أن القاعدة المتبعة كانت

تقضى بدفن كبار الموظفين أمثال نحت — مين هذا فى العاصمة أى فى طيبة أو على الأقل فى مدينة عنيبة عاصمة الإقليم . هذا ويدخل فى الاعتبار أن الكاهن الذى أشرف على دفن نحت — مين ذكر ضمن نصوص المقبرة مناديا صاحبها « إنك (ترقد هنا) فى مقبرتك ... (تلك) التى شيدتها فى مدينتك بأمر سيدك » معنى ذلك أن نجع البقع تلك القرية النوبية الصغيرة — هى موطن موظف الدولة الكبير نحت — مين . ومن هنا نشأ احتمال أن يكون نحت — مين من أصل محلى .

٥ — ولعل أهم تلك الحالات جميعاً أمر نائب الملك فى كوش المدعو بانحسى الذى ظهر فى أعقاب عصر الرعامسة ، وأوكل إليه إعادة الأمن إلى مصر كلها ، فحفظ على البلاد وحدتها وصانها من التردى فى الهاوية ، ثم ترك مقاليد الأمور وعاد إلى موطنه عنيبة حيث دفن . وطبيعى أن جل اعتمادنا لا ينصب على اسم بانحسى (ومعناه السودانى) فحسب، وإنما الأهم من ذلك أنه سمح أن تكون عنيبة مقره الأبدى ، وربما كان ذلك يعنى أنها موطنه الأصلى ، أى أن بانحسى (السودانى) قد استطاع بفضل كفاءته أن يصل إلى أرقى مناصب الدولة وهو منصب نائب الملك فى كوش .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن المحاضر القضائية الخاصة بعملية سرقة المقابر أواخر أيام الرعامسة قد أشارت إلى إجراءات الأمن القوية التى قام بها بانحسى نائب الملك فى كوش وفيها ما يفهم منه أن المصريين قد نظروا إلى بانحسى نظرتهم إلى الغريب الأجنبى .

Peet, Great tomb robberies II, pl. XXXI, 10, 18 ; Kees, Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, S. 12; Peet, JEA, 12, 257.

ولا شك أن وصول بانحسى إلى منصب نائب الملك فى كوش إنما كان نتيجة تكاد تكون طبيعية لتطور العلاقات بين مصر وكوش منذ أقدم العصور حتى أواخر أيام الدولة الحديثة وانتشار الحضارة المصرية واستيطانها فى كوش .

ولاشك أن نائب الملك فى كوش بانحسى يعتبر من أهم الشخصيات التى لمعت فى تاريخ كوش حتى أواخر أيام الرعامسة. نشأ أصلا وحسب شواهد الأمور فى مدينة عنيبة وكانت حينذاك المركز الإدارى الكبير لكوش ومقر نائب الملك. وهناك فى الجبانة المشار إليها بحرف S عثر العالم شتاين دورف على مقبرة تحمل اسم بانحسى. وحيث أننا لم نعثر له على مقبرة أخرى فى طيبة أو فى غيرها فيمكن اعتبار أنه دفن فى مقبرة عنيبة هذه وقد اعتبرها المكتشف من أحدث المقابر الموجودة فى ذلك الجزء من الجبانه، إذ أنها تنتمى إلى زمن رمسيس الحادى عشر. ومن دواعى الأسف أن كل المبانى التى كانت موجودة فوق سطح الأرض والتى كانت تخص تلك المقبرة قد زالت لدرجة لا يمكن معها التكهن بشكل القبر الظاهرى. أما الجزء السفلى المحفور فى الصخر الطبيعى فانه يتخذ شكلا فريداً لأنه محفور على مستويين وعلى عتب الباب المؤدى لغرف المقبرة الموجودة فى الطبقة الاولى عثر على النص الجنائزى الذى يؤكد نسبة القبر لبانحسى، وهو يقول: « ابن الملك (أى نائب الملك) بانحسى صادق الصوت، والمرحوم من لدن أزوريس وأنوبيس، القائم على الخيمة المقدسة وسيد الميزان». أما محتويات القبر فقد نهبت من قبل ولم يعثر الأثريون فيها إلا على أشياء قليلة منها جعل كبير مما كان يصنع بغرض استبدال القلب به بعد التحنيط، وكان يحمل اسم « سيدة الدار تنوب » وتميمتين من العقيق وبعض الخرز وخاتم وبعض الأجعال احدها يحمل اسم تحتمس الثالث تيمنا، وإناء خشبي لحفظ الكحل وغيرها من الأشياء الصغيرة.

ورغم قلة المادة التى أمدتنا بها مقبرة بانحسى فى عنيبة، فاننا نستطيع أن نرسم صورة مستمدة من مصادر تاريخ مصر خلال تلك الفترة فى أعقاب عصر الرعامسه: فقد كانت أمور البلاد تنحدر من سيء إلى أسوأ عندما تكاتفت عوامل الضعف وأخذت تنخر فى عظام دولة الفراعنة. هنالك تكاثر أعداؤها وأخذوا يطبقون عليها من جميع الجهات تقريبا. فبعد الحرب المريرة بين مصر وبين دولة الحثيين، تعرضت البلاد لشر مستطير أتاها فى شكل

هجرات كاسحة من الشرق ومن الشمال ، من البر ومن البحر قامت بها شعوب عرفت باسم شعوب البحر يمثلون العديد من الجنسيات. ومن الغرب ازدادت حدة الهجمات الليبية وأضحت تهدد سلامة البلاد ، ورغم نجاح مصر أيام رمسيس الثالث فى صد كل تلك الأخطار إلا أن العبء كان أثقل مما تتحمله البلاد ، فظهرت عليها أعراض الشيخوخة متمثلة فى سوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الشكوى من ارتفاع الأسعار وازدياد الضرائب ، فأدى ذلك إلى اضطراب الميزان وبدت على البلاد مظاهر ضعف لم تعرفها من قبل، ذلك أن جيش العمال فى غرب طيبة الذى كان يشرف على إقامة العمائر والمقابر الملكية ، بدأ أفراده يطالبون الوزير بدفع متأخرات رواتبهم ، وطرد شبح الجوع عن أسرهم . ولما كانت خزينة الدولة خاوية فإن العمال استمروا فى تهديداتهم وشكلوا خطرا فعليا على الدولة ، وفى نفس الوقت تكونت عصابات للسطو على مقابر الملوك ومقابر رجالات الدولة فى كل من وادى الملوك وهضبة طيبة الغربية، وشكلت للمتآمرين عدة محاكم وصلت إلينا محاضرها الرسمية ولكن المحاكمات لم تمنع انتشار السرقات مما أجبر المملوك على إسراع فى إنقاذ ما تبقى من موميات أجدادهم ، فأعيد دفنها على عجل فى مخابىء سرية . ولقد انتهزت عائلة الكاهن الاكبر لامون المدعو رمسيس نخت فرصة ضعف الملوك وتمكنت من السلطة فأصبحت مصائر البلاد السياسية والاقتصادية والدينية فى أيدى أفرادها . وفى زمن رمسيس الحادى عشر كان أمون حتب ابن رمسيس نخت على رأس كهنة آمون التى كانت تمتلك أخصب أراضى مصر ، وكان أخوه نس آمون هو الكاهن الثانى لامون فسيطروا بذلك على دخل المعابد ، كما كان منهم جامعوا الضرائب . هنالك — وقبل العام الثانى عشر من حكم رمسيس الحادى عشر قامت الثورة وأخذت فى طريقها الكاهن الأكبر آمون حتب وأسرته. وتهددت البلاد الحروب الأهلية التى استمرت حوالى تسعة أشهر ولم تكن فى البلاد قوة تستطيع السيطرة على الفوضى ، وفى تلك الأيام العصيبة استنجد ملك مصر رمسيس الحادى عشر بنائبه فى كوش حيث طلب من بانحسى أن يحضر بجيشه ويقضى على الفوضى . فلبى بانحسى النداء ، والمرجح أنه استطاع القضاء على أغلب أماكن الفوضى فى طيبة

وفى مصر الوسطى بالقوة العسكرية وبعدها عاد إلى مقر عمله بعنيبة ، ولم يحاول استغلال الموقف ، رغم أنه كان يمثل القوة الوحيدة الباقية فى وادى النيل حينذاك. وتدل الوثائق على أن بانحسى كان موجودا فى مقر عمله بالنوبة حتى العام السابع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر يزهو بثقة فرعون حين كلفه بتسهيل مهمة أحد رجاله الذى أرسل إلى منطقة الشلالات .

Kees, Herihor u die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, S. 9/10

أما فى طيبة فلقد ظهرت شخصية جديدة بدلا من الكاهن الأول السابق لآمون ممثلة فى شخص حريحور ، والمعتقد أنه من أتباع بانحسى . وبعد أن استطاع أن يصل إلى رئاسة كهنة آمون وتولى منصب الوزارة ضم إليه منصب نائب الملك فى كوش بعد وفاة بانحسى ، وأخيراً وبعد أن ودع الدنيا آخر ملوك الرعامسة فى طيبة ، أسس حريحور أسرة حاكمة عرفت فى تاريخ مصر باسم الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ — ٩٥٠ ق.م.) على عكس سلفه بانحسى الذى تصرف بأمانة ونكران للذات ، ولم يحاول استغلال نفوذه كنائب للملك فى كوش وكقائد لا كبر قوة موجودة حينذاك. وظلت كوش على ولائها لمصر طوال سنوات الضعف السياسى التى ابتليت به البلاد فى أواخر أيام الرعامسة .

مركز كوش السياسى :

رأينا كيف تقدمت كوش بعد ضمها إلى مصر فى مضمار الحضارة لتأخذ المركز اللائق بها كبلاد ذات موارد طبيعية وبشرية لا حدود لها ، فغدت فى فترة وجيزة من أقوى العوامل الموجهة لسياسة الوادى حيث أضحت تكون جزءاً هاماً فى بناء الدولة المصرية . ولقد ازدادت أهمية كوش منذ أواخر أيام الدولة الحديثة ، وشرع الملوك وكذا المتطلعون للعرش يحاولون كسب كوش إلى جانبهم ، وبدت تصرفاتهم تنم عن تفهم لقوة مركز كوش وأثره فى تشكيل سياسة الوادى .

ولو حاولنا استعراض ما تم فى هذا السبيل لا عتبرنا زيارات حور محب لكوش خلال فترة صراعه مع متافسه آى فى أعقاب الأسرة الثامنة عشرة ، وقبل توليه السلطة الرسمية، أى فى أيام توت عنخ آمون وكذلك رحلته إليها بعد أن استولى على العرش ، كانت من قبيل الاطمئنان على ولاء أهلها .

وتحدثنا الوثائق (BAR III, 642) عن زيارة قام بها أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المدعو رمسيس سابتاح خلال السنة الأولى من حكمه بغرض تعيين نائب الملك المدعو سيتى فى منصب حاكم كوش ، وقد حمل مبعوثه هدايا ومكافآت قيمة لكبار موظفى تلك البلاد . وأما آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة الملك مرنبتاح — سابتاح، فقد أرسل إلى كوش أحد رجاله المختارين ليقوم بإحضار الجزية بنفسه، وذلك تقليد لم يقابلنا مثيل له من قبل. ولعله كان يرمى من وراء ذلك أيضاً إلى التفتيش ، وتقديم تقارير للملك عن مدى ولاء اهل تلك البلاد (Buhen, p. 26, pl. 12) .

أما ما ذكر عن إمكانية وصول نائب الملك فى كوش المدعو سيتى إلى العرش فى أعقاب رمسيس ــ سابتاح فربما تدعمه حقيقة أن كوش قد أصبحت تمثل عاملا له أثره فى السياسة المصرية .

ودار الزمن دورته وانتقل حكم مصر من الأسرة التاسعة عشرة إلى الأسرة العشرين . وهنالك ظهرت بوادر الضعف والتفكك داخل القصر نفسه. ولقد حدثنا التاريخ عن وقوع مؤامرة دبرها حريم الملك رمسيس الثالث للتخلص من الجالس على العرش .

وتذكر وثائق التحقيق فى الحادث الفاشل أن نفراً من المتآمرين سعى فى طلب التأييد والعون من كوش ، فقد اتصلت شقيقة قائد الجيش فى كوش (والتى اشتركت فى المؤامرة) بأخيها فى كوش للاشتراك فى المؤامرة ؛ ولما كشف الغطاء عن المتآمرين قدموا إلى المحاكمة زمن رمسيس الرابع ونفذ فيهم حكم القضاء . والغريب أن نائب الملك فى كوش فى ذلك الوقت لم يخرج عن ولائه للملك ، وظل اسمه بعيداً عن التآمر . ولو كانت هناك أية شبهة نحوه لما استمر فى منصبه . فالمدعو حورى الثانى الذى شغل المنصب

فى زمن رمسيس الثالث قد استمر فى منصبه أيضا زمن رمسيس الرابع .

(Buben, p. 24 & Säve-Söderbergh, A.u N.S. 177)

وإذا ما تتبعنا سير الحوادث بعد ذلك مباشرة لتبين لنا أن شخصا من الجيش يدعى حريحور استطاع أن يجمع بين منصب الكاهن الأكبر ومنصب نائب الملك فى كوش ثم منصب الوزارة ، أى أنه استطاع أن يجمع فى يده كل السلطات . وإدراكا منه لخطورة منصب نائب الملك فى كوش فإنه ظل محتفظا به إلى أن بلغ العرش ، فأسنده إلى أقرب الناس إليه أى إلى ابنه بعنخى ، ولا شك أن فى ذلك تأكيداً بليغا لما أصبحت عليه كوش من قوة فعالة مؤثرة فى تاريخ مصر نفسه .

ذلك كان شأن كوش — فلنبحث علام اعتمدت كوش للوصول إلى تلك المكانة السياسية المرموقة ؟ .

لا ريب أن ثروة كوش الطبيعية فى ذلك الوقت كانت تشكل حجر الزاوية يضاف إلى ذلك جيشها الذى تظم على غرار الجيش فى مصر ثم جهازها الإدارى . هذا وقد سبق أن أثبتنا عدم افتقار كوش لرجال لامعين وقادة من كل المستويات . كل تلك العوامل تضافرت لتجعل من كوش عنصراً مؤثراً فى توجيه سياسة مصر مما أهلها لتولى مسئولية أكبر فى المستقبل .

وإذا ما ألقينا نظرة على واردات مصر من كوش أيام الدولة الحديثة ، لوجدنا أن كنوزها المعدنية ومنتجاتها العديدة ، وغلاتها ثم وفرة الأيدى العاملة فيها ، كانت تمثل أهم تلك الواردات . ولقد لعب معدن الذهب دوراً كبيراً بين واردات كوش أيام الدولة الحديثة ، وإذا مارجعنا إلى أيام حضارة كرمة لوجدنا أن مقابرها — رغم نهبها مراراً — قد أمدتنا بعدد ليس بالقليل من المصنوعات الذهبية ، مما يقوم دليلا على أن الذهب كان يستخرج بكميات كبيرة من مناجم كوش قبل قيام الدولة الحديثة . ولقد ظلت كوش تمثل مورد الذهب الرئيسى طوال عصر الرعامسة ، بدليل تلك النقوش المسجلة على معبد الأقصر وعلى معبد مدينة هابو وفى بردية هاريس .

ولقد أمدتنا أقدم مقابر الكرو التى تخص أسلاف ملوك نبتة بكمية كبيرة

نسبيا من الذهب ، على الرغم من صغر حجمها وكثرة نهبها قديما فى العصور المختلفة . فأقدم قبر منها أمدنا بما قيمته حوالى ٢٨ جنيها استرلينيا ، كما عثر فى مقبرتين أيضاً على تمثال صغير من الذهب الخالص، وعلى بعض قطع الزينة الذهبية . وإن ذلك وحده، ليشير إلى مقدار ما كانت تضم تلك المقابر من صناعات ذهبية مما كان يكثر استعماله بين هؤلاء القوم . هذا من ناحية وفرة الذهب فى كوش باعتباره من أهم عناصر القوة عموما . وإلى جانب الذهب كأحد العناصر المكونة لثروة كوش المحلية تذكر مصادر عصر الرعامسة فى أواخر عهد المصريين بأرض كوش (JEA. 13, p. 201) أن الزراعة وتربية الحيوان قد ازدهرتا أيضا فى كوش ، وبهذا نتبين مدى ما كانت تتمتع به كوش من مصادر للثروة ساعدتها لكى تتبوأ مكانها .

وقد سبق أن أوضحنا كيف أصبح الجيش فى كوش أيام الدولة الحديثة على درجة عالية من الكفاءة مكنته من إنقاذ مصر من خطر ثورة الكهنة أواخر أيام الأسرة العشرين .

وينبغى أن نذكر أن شهرة أهل كوش كمحاربين قد أعطتها مصر قدرها منذ أقدم العصور، ولا شك أن سعى ملوك الأسرة السادسة المصرية لتجنيد فرق حربية ، وفرق للعمل من أهل النوبة ليكونوا جيشا مؤلفا من عشرات الألوف ، لمما يؤكد هذه الحقيقة . وفى زمن العصر الإهناسى ، فى فترة الانحلال السياسى التى امتدت من سقوط الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى (حوالى ٢٢٦٣ ق م. — ٢٠٤٠ ق . م . تقريبا) فى مصر، لعبت القوات النوبية دوراً هاما أثناء الخلافات بين بيوتات الحكم المتنازعة فى كل من مصر الوسطى والصعيد ، وقد احتفظ لنا أحد حكام الأقاليم فى مصر الوسطى ويدعى مسحتى فى مقبرته بأسيوط ، بنموذج لفصيلة من المحاربين من أهل النوبة ، الذين تخصصوا فى حمل القوس والضرب بالنبال حتى أنهم سموا قديما بحملة الأقواس . ولقد حفظ لهم التاريخ دورهم المشرف فى مساعدة القوات المصرية لطرد الغزاة فى مطلع الدولة الحديثة ، فنجد الملك كاموسى أحد أبطال التحرير يفخر بأن الفرق المجاوية كانت على رأس قواته المحاربة ضد الآسيويين المعتدين ، ولابد أن هؤلاء القوم هم أصحاب

المقابر المعروفه باسم (Pan-Graves) ويختلف المؤرخون فى تحديد أصلهم إلا أنه يمكن اعتبارهم من أصحاب المرحلة المتطورة الأخيرة من حضارة المجموعة الثالثة ، وربما كانوا من أصحاب حضارة كرمة .

وهناك رسم فريد لأحد أولئك المحاربين عثر عليه فى جبانة مستجدة (بالقرب من دير طاسا والبدارى فى محافظة أسيوط) صور على قطعة العظم العريضة المكونة لجبهة إحدى حيوانات الضحية وهى بالألوان وتمثله واقفا ببشرته السوداء ، حليق الرأس والوجه ، يلبس مئزراً قصيراً إلى ما فوق الركبة ، لونه أحمر داكن والجزء العلوى من الجسم مكشوف بينما يتحلى بعقد واسع ، ويتسلح بفأس القتال من خلف ظهره ، وفى يده اليمنى يحمل ما يشبه السوط ، أما اليد اليسرى فتمتد قليلا إلى الأمام ، حيث كتب اسم داخل مستطيل يمتد من محاذاة الرأس تقريباً حتى أعلى الركبة وفى داخل هذا المستطيل حروف هيروغليفية عددها ٦ : ق . س . ك . (ا و د) م . ن . ت . ربما كانت تدل على اسم ذلك المحارب ولعل المقطع الأخير من اسمه (منت) = آمونة ، له صلة بالإله آمون أو بزوجه الأصلية آمونة والملاحظ ان هذا المحارب كان يرتدى زياً مصريا ، ويتحلى على الطريقة المصرية ويتسلح بسلاح مصرى ايضا ، ولعل مرجع ذلك إلى أثر الحضارة المصرية على هؤلاء القوم .

ولا جدال فى أن غالبية هؤلاء المحاربين كانوا جنوداً أحراراً ، تشهد بذلك محتويات قبورهم وما عثر فيها من صناعات ذهبية ، مما يدل على أنهم كانوا يمنحون رواتب مجزية ، لدرجة أننا نقابل البعض منهم وهم يمتلكون العبيد كما ظهر من تحقيقات سرقة المقابر فى أواخر عصر الرعامسة .

ولو أن مصادر تاريخ كوش فى الفترة ما بين نهاية الدولة الحديثة وقيام الأسرة الخامسة والعشرين تكاد تنعدم . إلا أننا نتوقع استمرار كوش فى تطورها الطبيعى خلال تلك المرحلة معتمدة على مصادرها البشرية والمادية لتصبح مستقبلا فى موقف يسمح لها بفتح شمال الوادى والسيطرة على مقاليد السياسة فى وادى النيل طوال ما يقرب من ١٠٠ عام .

الفصل الخامس

أصل الأسرة الخامسة والعشرين (مملكة نبتة)

إن البحث فى أصل الأسرة التى حكمت مصر والسودان القديم منذ حوالى منتصف القرن الثامن حتى حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (٧٥١— ٦٥٦ ق . م .) ليزداد أهمية عندما نعلم أن تلك المرحلة تمثل جزءاً هاما من تاريخ السودان القديم ، ولأنه يلقى الضوء أيضاً على فترة غامضة من تاريخ مصر ، كما يتناول العلاقات الإنسانية بين شطرى الوادى فى مرحلة بلغت فيها الأحداث التاريخية فى وادى النيل ذروتها .

ولقد ظل موضوع البحث فى أصل تلك الأسرة مثاراً للفروض، بعيداً كل البعد عن البحث الشامل ، شائكا فى نظر المتخصصين نظراً لقلة المادة العلمية بين أيدينا . وعندما تناولت هذا الموضوع لم أجد أمامى إلا بعض نتائج أعمال الحفر لدنهام وريزنر فى المواقع الأثرية المعروفة بأسماء الكرو ونورى ومروى وبركل ، كذلك حفائر مكادام فى كوة ثم حفائر ريزنر فى كرمة ، وحفائر كل من فيرث وريزنر وشتين دورف ويونكر فى منطقة النوبة السفلى ، هذا بالإضافة إلى الآراء المتناثرة فى بعض المؤلفات التى حاول أصحابها أن يدلوا بآرائهم حول الموضوع . وتتلخص تلك الفروض فيما يلى :

١ — الرأى القائل بأن أصل تلك الأسرة مصرى .

٢ — النظرية التى ترجع ذلك البيت إلى أصل ليبى .

٣ — النظرية القائلة بأن البيت الحاكم والمؤسس للأسرة الخامسة والعشرين فيما بعد هو من أصل محلى .

أولا : إن النظرة الفاحصة للأسانيد التى حاولت النظرية الأولى أن تتخذ منها دليلا، لتوضح أنها لم تتخط مرحلة الفروض . فالقائلون بها يعتمدون على

الطابع المصرى لحضارة تلك الأسرة، وعلى تمسك أفرادها بعقيدة آمون، وهى الديانة الرسمية لمصر القديمة فى ذلك الوقت . ثم إنهم يشيرون إلى مدى تدين ملوكها ، وبعد ذلك فهم يرون فى اسم بعنخى عاهل الأسرة (٧٥١ — ٧١٦ ق . م .) اسما مصريا صميما سبق استعماله أيام الأسرة الحادية والعشرين عندما حمله بعنخى بن حريحور . بل إنهم يعتبرون مؤسسى هذه الأسرة من سلالة أسرة الكهنة فى طيبة ، التى فر بعض أفرادها إلى نبتة خوفا من الهزيمة على أيدى الليبيين ، الذين ملكوا زمام مصر حينذاك وحكموها طوال الفترة بين سقوط الأسرة الحادية والعشرين وقيام الأسرة الخامسة والعشرين.

والمتتبع لتاريخ العلاقات الحضارية بين مصر والسودان منذ فجر التاريخ حتى تلك المرحلة من مراحل التطور ليدرك تماما أن الطابع المصرى لأصحاب ذلك البيت لابد ان يرجع إلى طول استيطان الحضارة المصرية فى السودان منذ فجر التاريخ بما فى ذلك استيطان أعداد كبيرة من المصريين فى النوبة ليعملوا ضمن أفراد الإدارة المصرية أو القوات المرابطة ، كما أن انتشار الكهنة المصريين فى معابد النوبة حتى منطقة الشلال الرابع كان له أثر كبير فى نشر الثقافة والعقائد المصرية .

أما فيما يتعلق بظهور الأسماء المصرية بين أصحاب البيت المالك فى نبتة فإن ذلك لم يتعد اسمى الملكين بعنخى وحور سيوتف Horsiyotef (٤٠٤ — ٣٦٩ ق . م) هذا إذا استثنينا الأسماء المصرية التى ظهر بعضها بين أبناء ملوك ذلك البيت مثل حور — إم — أخت بن شاباكو (حوالى ٧٠٧ — ٦٩٦ ق . م) والذى حمل ابنه اسماً مصرياً أيضاً ، كذلك فإن طهارقه قد أعطى اثنين من أبنائه اسمين مصريين وهما نيسو نحرت (وهو « اوشنا كورو » فى الحوليات الآشورية للملك « إسرحدون ») و « نيسو شو — تفنوت » . كما حمل بعض ملكات الأسرة وأميراتها أسماء مصرية مثل « أما نيرديس » ابنة الملك كاشتا (المتوفى عام ٧٥١ ق . م .) ، وإحدى زوجات الملك بعنخى ، وكانت تدعى « تقرو كاكاشتا » والملكة

« تاباك — نمون » ابنة الملك بعنخى ، ثم إحدى بنات الملك « شاباكو » ، وأخيراً زوجة الملك اسبالتا (٥٩٣ — ٥٦٨ ق . م .) هـذا بالإضافة إلى بعض الأسماء المصرية حملها نفر من الموظفين والكهنة . ذلك هو شأن الأسماء المصرية بين أفراد العائلة المالكة .

أما بخصوص دور كهنة المعبود آمون ، فليس هناك جدال فى النشاط الكبير الذى قاموا به خلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين ، فباسمه أقيمت المعابد فى شتى أنحاء النوبة وتحت لوائه استطاعوا السيطرة على شمال الوادى بسهولة ، ولم ينظر إليهم على أنهم قوم غرباء ، بل كانوا هم من أنقذوا الوادى وحفظوا تقاليد البلاد وعقائدها المقدسة. كما لا يستبعد أن يكون فريق من الكهنة قد هرب فعلا إلى نبتة بسبب هجوم الليبيين. كل أولئك يمكن اعتباره من العوامل المساعدة للبيت المالك فى نبتة لـكى يصل إلى العرش . أما المبالغة فى دور كهنة آمون فإنها تؤدى إلى افتراضات ونتائج خاطئة .

ثانياً : أما القائلون بالأصل الليبي للبيت الحاكم فى نبتة فيفترضون: أنه خلال الهجرة الكبرى للقبائل الليبية الشمالية إلى الدلتا ومصر الوسطى وسعيهم للاستيطان فيهما ، اتجه فرع من الليبيين الجنوبيين — الطمياح — فى نفس الوقت تقريباً متخذاً طريق الواحات جنوباً حتى وصل إلى دنقلة فى فترة حكم الملك الليبي شيشنق الأول فى شمال الوادى (٩٢٠ — ٨٦٠ ق.م.) واعتبرها موطناً جديداً لعشيرته . هنالك استطاع رئيس تلك القبيلة أن يجمع إليه كل سلطة نائب الملك فى كوش ، وأصبح كغيره من الحكام الليبيين على الأقاليم المصرية ، يكاد أن يكون مستقلا عن الملك المصرى .

ولـما كان الموقع الجغرافى لإقليم دنقلة — بوصفه أقرب الأقاليم إلى قلب القارة الإفريقية بمحاصيلها وخيراتها الوفيرة يجعل منه مفتاحا لمحاصيل القارة بالإضافة إلى سيطرة ذلك الإقليم على الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب ، فقد ازدادت أهميته وكذا أهمية هؤلاء الحكام الجدد الذين اتخذوا من الكرو مركزاً لهم وأخذوا فى نشر نفوذهم شمالا حتى بلغ حدود إقليم طيبة المصرى .

وحسب تقدير ريزنر صاحب هذا الرأى لا بد أن تكون كل تلك الأحداث قد وقعت خلال الستة أجيال ، ما بين حكم الملك الليبي شيشنق الأول فى مصر ، وبين حكم الملك بعنخى عاهل الأسرة الخامسة والعشرين فى نبتة (٧٥١ — ٧١٦ ق. م) . ويرجح ريزنر أن صاحب أقدم مقابر الكرو — والتى قسمها إلى ستة أقسام على ستة أجيال متتالية — قد عاش فى زمن الملك شيشنق الأول . ويختتم روايته فيقول بأن أقدم مقابر الكرو هى مقابر أسلاف الملك بعنخى ، وهو يعتبرهم جميعاً أمراء ليبيين جنوبيين (طمياح) .

ويعتمد ريزنر فى تأييد نظريته على بعض نتائج الحفر الذى أجراه فى الكرو :

١ — فهو قد عثر فى أربع من أقدم المقابر فى الكرو على رؤوس سهام هى فى رأيه ذات طابع ليبى .

٢ — وخلال حفائره هناك عثر على لوحة مكتوبة (أعطاها رقم ٥٣) خاصة بزوجة الملك بعنخى المسماه تابيرى Tabiri وعلى اللوحة قرأ ريزنر لقبا لها على أنها « سيدة الطمياح » ، وعلى أساس تلك القراءة اطمأن إلى أنه اكتشف دليلا قاطعا على أن الأسرة الملكية فى نبتة تنتمى إلى الليبيين الجنوبيين أى إلى الطمياح . ذلك لأن الملكة المذكورة هى ابنة ألارا Alara أقدم رئيس لأسرة الملك بعنخى ، كما أن ألارا هذا كان أخا لكاشتا والد بعنخى .

٣ — ويدعى ريزنر كذلك أن أسماء أفراد الأسرة الحاكمة فى نبتة ليبية الأصل وأنها تشبه فى بنائها غيرها من الأسماء الليبية .

٤ — وعلى قطعة مكسورة من إناء من الألبستر (نورى رقم ٣٨) عثر عليها ريزنر فى منطقة الحفائر فى نورى (وهى أحدى أماكن الدفن الملكية التى كانت تتبع العاصمة نبتة) قرأ ريزنر ما يلى : « . . . (٢) الرئيس الأعلى للجيش (٣) باشدباست Pashedebast المرحوم (٤) ابن سيد الأرضين شبشاقن — مرى آمون » . (Reisner, JEA 6, p. 54) وعلى هذا الأساس قرر ريزنر

صاحب الرأى الليبي أن باشدباست هذا ابن الملك الليبي شيشنق الثانى أو الثالث لابد وأنه هو نفسه والدكاشتا ملك نبتة . وبناء على ذلك أرجع ريزنر أصل البيت الحاكم فى نبتة مباشرة إلى الأصل الليبي للبيت الحاكم فى مصر فى الفترة ما بين ٩٥٠ — ٧١٥ ق . م . تقريبا .

وقد تبنى الكثير من المهتمين بالدراسات المصرية القديمة الرأى القائل بالأصل الليبي،منهم مكادم وسميث وكاتر نلسن وإدوارد وسودربرج وجوتيه. ولو أن هناك منهم من أثار بعض التحفظات ، بينما عاد البعض مثل كاتر نلسن ورفض هذا الرأى .

وفيما يلى تحليل للنظرية الليبية :

١ — فيما يختص برؤوس السهام من حجر الصوان وحجر الكوارتز ، ذات الشكل المجنح والتى عثر عليها فى أربع من أقدم مقابر الكرو والتى يرى ريزنر أنها ليبية الأصل. نلاحظ أنه ذكر أيضا نبأ العثور على رؤوس سهام فى نفس تلك المقابر وفى مقابر أخرى تليها ، شكلها نصف دائرى ويعتبرها من أصل محلى . وبعمل إحصائية لعدد السهام لكل من النوعين السابقين يتضح أن النوع الليبي عدده ٣٢ بينما النوع المحلى يبلغ ٣٩ سهما ، أى أن عدد رؤوس السهام المحلية أكثر من عدد تلك ذات الطابع الليبي . كما أن ذلك النوع من السهام المجنحة كان منتشراً فى كثير من أرجاء وادى النيل منذ عصر ما قبل التاريخ حيث عثر على نماذج لها فى كل من الفيوم والبدارى وحضارة الخرطوم

Arkell, History, p, 33, 55, Early Khartoum p, 76 & p, 50

وبهذا لا يمكن اعتبار رؤوس السهام دليلا يمكن أن تعتمد عليه النظرية القائلة بالأصل الليبي للبيت الحاكم فى نبتة .

٢ — وفيما يتعلق بلقب الملكة تابيرى الزوجة الأولى للملك بعنخى ، والذى قرأه ريزنر « كبيرة الطمياح ». فإن المدقق يلاحظ وجود أخطاء فى قراءة اللقب كنتيجة لطريقة الكتابة بالمقاطع التى اتبعها المصريون فى كثير من الأحيان وبمراجعة الكتابات المختلفة التى وردت فى غيرها من النصوص المصرية الأخرى فى القاموس الكبير للغة المصرية ، والخاصة بكلمة الطمياح يتضح

أن قراءة ريزنر لتلك الكلمة بعيدة عن الصواب ، والصحيح أن تكون القراءة « خاستيو » ومعناها « البلاد الأجنبية » فتكون القراءة الصحيحة للقب الملكة تابيرى : « سيدة (أو كبيرة) البلاد الأجنبية » وعلى هذا لا يمكن الإعتماد على القراءة الخاطئة للقب الملكة تابيرى ثم القول بأن سلالة الأسرة من أصل ليبي .

٣ — ثم نأتى لمناقشة الادعاء القائل بأن أسماء أفراد أسرة نبتة ليبية :

يرى جريفيث أن المقطع «ـــقه» الموجود فى إسم الملك الليبي شيشنق ما هو إلا صورة أخرى للمقطع «ـــ قه» الموجود فى كثير من الأسماء الملكية لأسرة نبته مثل طهارقه وأمطالقه وامانسطبارقه وغيرها . ويضيف ماكادم إلى ذلك فيعطى بعض الأمثلة على صحة هذا الرأى :

إن اسم شيشنق قد عثر عليه مرة مكتوباً : شاشاقا .

إن اسم طهارقه قد ورد مكتوباً : طهارقا وطهرقا .

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن هذا المقطع الاخير «ـــقه» الذى ورد فى العديد من أسماء الملوك والملكات فى مملكة نبته : طهارقه ، أمطالقه ، أمانسطبارقه ، سيعسبيقه ، طابرقه ، ناهيرقه (؟) هو نفسه المقطع «ـــ قه» الذى استمر ظهوره فيما بعد فى نهاية الاسماء المروية سواء الملكية منها أو الخاصة بالأفراد والذى ترجمة البعض على أنه مقابل لكلمة المبجل أو المحترم . أى أن المقطع المذكور عبارة عن كلمة مستقلة وكانت غالباً ما تضاف إلى الاسم ، ولعلها كانت تقرأ معه كما يتضح من كتابتها بالحروف الهيروغليفية ضمن أسماء ملوك أسرة نبته مثل طهارقه وغيره .

ولذلك لا ينبغى أن نعتمد على ذلك التشابه النادر الحدوث فى كتابة نهاية اسم الملك الليبي شيشنق وبين نهاية اسم الملك طهارقه، لنبرهن على أن الاسماء المروية الخاصة بملوك نبته من أصل ليبي ، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن اللغة المروية التى إزدهرت فيما بعد تختلف اختلافاً جوهرياً عن اللغة الليبية ، وأن كثيراً من أسماء ملوك نبته يمكن تفسيره على ضوء معرفتنا باللغة المروية .

٤ — وأخيراً تبدو ضآلة السند الأخير الذى اتخذه ريزنر ليؤكد نظريته الخاصة بالأصل الليبي للبيت الحاكم فى نبته ، ونقصد به النص الذى عثر عليه فى نورى ، والذى يتحدث عن باشدباست بن شيشنق . ذلك النص المقتضب الذى اتخذ ريزنر من مجرد وجوده فى مدافن الأسرة الخامسة والعشرين فى نورى عند الشلال الرابع دليلا على وجود علاقة قرابة بين الاسرة الليبية فى شمال مصر وأسرة نبته فى شمال السودان .

وفى رأينا، إن وجود هذا النص الذى حمله ريزنر أكثر مما يحتمل ، فى نورى — وهى إحدى جبانات الاسرة الخامسة والعشرين — قد يعنى العكس، فلعل باشدباست المذكور هو ابن أحد ملوك الاسرة الليبية ويدعى شيشنق أيضا ، وأن هذا النص المكتوب على جزء من إناء قد جاء إلى نورى ضمن غنيمة أحضرها معه أحد ملوك نبته من الشمال .

وهكذا نجد أن النظرية الليبية لم تستطع أن تصمد طويلا لاعتمادها على أدلة واهية .

ثالثا : النظرية التى تقول بالاصل المحلى للأسرة الخامسة والعشرين :
رغم أن الاصل السودانى للأسرة الخامسة والعشرين منطقى ، بل هو أول ما يجب أن يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن ذلك البيت الحاكم الذى دخل مصر من الجنوب، ثم تركها بعد حين متجها نحو الجنوب أيضا ليكون دولة مستقلة ظلت مزدهرة زمنا طويلا فى شمال السودان . إلا أننا نرى أن هـذا الرأى قـد أهمله الباحثون وانصرفوا عنه ، إما إلى الرأى القائل بالأصل المصرى او إلى النظرية التى تزعم أن مؤسسى ذلك البيت من أصل ليبى . ومنذ عهد قريب بدأ بعض المؤرخين ينادى بالاصل السودانى، فمثلا نجد ان آركل عند تعرضه لهذا الموضوع فى محاولة للتدليل على الأصل السودانى ، قد اعتبر عادة الدفن على سرير ،وعادة بناء القبر المستدير التى وردت فى الكرو وفى نورى، أدلة على الأصل السودانى . حيث أن هاتين العادتين كانتا معروفتين فى النوبة منذ عهد حضارة كرمة . ويضيف آركل إلى ذلك عادة زواج الاخ بأخته ثم

يشير إلى مدى تدين عاهل الأسرة ألارا ، يضاف إلى ذلك أيضا عادة التبنى التى قال أنها طابع تلك الاسرة وهو يعتبر كل هذه التقاليد من أصل محلى ، كل ذلك دون أن يدخل فى أية تفاصيل .

ولقد أخذت هذه النظرية تكتسب أنصاراً أمثال كاتزنلسن السوفييتى ولـكلان الفرنسى ، ومن قبل تردد الباحثون أمثال بدج ودريوتون وفنديه فى الأخذ بالأصل المحلى.

وإذا ما اعتبرنا أن أصل الاسرة الخامسة والعشرين محلى ، أى من أهل المنطقة المحيطة بنبته ، فلابد إذا من التعرض لأصل هؤلاء السكان أى لأصل سكان شمالى السودان فى زمن إزدهار حضارة نبته ثم حضارة مروى . أو بمعنى آخر التعرض لاصل الحضارة المروية .

وقد سار البحث فى محاولة حل المشكلة كالآتى :

١ — دراسة الحضارة الخاصة بالاسرة الخامسة والعشرين ، بما فى ذلك مخلفات أسلاف هذا البيت فى الكرو واستخلاص العناصر الحضارية المميزة ، واعتبارها هى نقطة البدء .

٢ — البحث فى مخلفات الحضارات القديمة فى المنطقة قبل الأسرة الخامسة والعشرين عن عناصرها المحلية المميزة .

٣ — البحث فى مخلفات الحضارات التالية لزمن الاسرة الخامسة والعشرين عن عناصر مميزة محلية .

٤ — دراسة مقارنة للعناصر المميزة لكل تلك الحضارات التى نشأت فى المنطقة حتى العصر المروى ، والخروج بنتيجة عامة .

وقد أثبت البحث أن هناك عناصر حضارية محلية وتقاليد تربط كل تلك الحضارات بعضها البعض مما يؤكد وجود صلة قرابة بينها بطريقة أو بأخرى ، وأن حضارة الاسرة الخامسة والعشرين هى حضارة ليست غريبة عن المنطقة

التى نشأت فيها ، وإنما هى تكون حلقة فى سلسلة الحضارات المحلية التى قامت فى النوبة وفى شمالى السودان. (انظر اللوحة رقم ٤)

وهذه العناصر الحضارية تنحصر فى :

١ — طريقة بناء القبر .

٢ — طريقة الدفن .

٣ — عادة التضحية بدفن الإنسان والحيوان مع صاحب المقبرة .

٤ — إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة بالنسبة للرجال .

٥ — يضاف إلى ذلك نتائج دراسة المصورات المختلفة لأصحاب كل من حضارة نبته ومروى فى محاولة للتعرف على شكل هؤلاء القوم .

فبالنسبة لحضارة المجموعة الثالثة وجدنا العناصر المحلية الاتية :

(ا) شكل القبر المستدير .

(ب) طريقه الدفن على سرير (فى الفترة الاخيرة فقط) .

(حـ) إنتشار عادة دفن الدواب وغيرها من الحيوانات الاليفة عند وفاة صاحبها .

(ى) إنتشار عادة التحلى بالاقراط المستديرة وخاصة بين الرجال .

وبالنسبة لحضارة كرمه وجد أن عناصرها المحلية كالآتى :

(ا) شكل القبر المستدير . (ب) عادة الدفن على سرير .

(حـ) عادة دفن الحيوان .

(ى) عادة التضحية بالإتباع ودفنهم أحياء مع صاحب المقبرة .

(هـ) إنتشار عادة التحلى بالأقراط المستديرة .

وبالنسبة لحضارة الكرو وحضارة الأسرة الخامسة والعشرين وجدت العناصر المحلية الآتية :(انظر اللوحة رقم ٧ ، اللوحة رقم ٨) .

(أ) شكل القبر المستدير (فى المقابر العتيقة) .
(ب) الدفن على سرير . (حـ) عادة دفن الحيوان .
(ى) التحلى بالاقراط بالنسبة للرجال .

وبالنسبة لحضارة مروى وما بعدها كانت العناصر المحلية كالآتى :
(أ) القبر المستدير (بين مقابر الأفراد) . (ب) الدفن على سرير .
(حـ) عادة دفن الأتباع (ولو أنها مازالت تحتاج إلى دليل) .
(ى) دفن الحيوان . (هـ) التحلى بالأقراط المستديرة وبغيرها .

ومن دراسة تلك الحضارات يتبين لنا أن تمسك هؤلاء القوم أصحاب الاسرة الخامسة والعشرين بتقاليد عتيقة رغم قوة تيار الحضارة المصرية ، وعلى الأخص بالنسبة لتقاليد الدفن ، إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تمسكهم بتقاليد آبائهم وأجدادهم . فلو فرض وكان هؤلاء القوم مصريين لما كانت لهم حاجة إلى ممارسة تلك التقاليد البالية التى لايتفق بعضها مع ماوصلت إليه الحضارة المصرية من رقى وبخاصة فى فنى التحنيط والعمارة ، وهما من أوضح معالم تلك الحضارة .

والتفسير المنطقى لبقاء تلك التقاليد المحلية طوال هذه المدة حتى زمن الاسرة الخامسة والعشرين ، رغم تأثير عناصر الحضارة المصرية المباشر على كل من حضاره المجموعة الثالثة وحضارة كرمة ، هو أن تلك العشيرة التى خرج منها بيت الاسرة الخامسة والعشرين ربما عاشت أيام الدولة الحديثة بعيداً عن متناول الأثر القوى للحضارة المصرية ، وربما اتخذت من جزيرة مروى موطناً لها . فمن المعروف أنها أصبحت أخيراً عاصمة الدولة المروية ، وقد كانت من قبل ومنذ البداية موطناً لفرع من فروع البيت الحاكم أيام الاسرة الخامسة والعشرين . وإذا صح هذا الفرض فإن توسع هذا البيت يكون قد بدأ من الجنوب إلى الشمال ، وبالتالى يمكن اعتبار ملوك نبته (الاسرة الخامسة والعشرين) ملوكاً مرويين .

اللغة المروية — اللغة المحلية لملوك نبتة — :

لقد ذكرت فيما سبق إمكانية إعتبار ملوك نبتة ملوكا مرويين ، فالصلة الحضارية بين حضارتهم وحضارة مروى لا تحتاج إلى دليل ، كما هو واضح من مقارنة المادة الأثرية فى كل منهما .

فوق ذلك يمكن القول أيضا أن أسماء ملوك نبتة ، وكذا أسماء أفراد عائلتهم إنما هى أسماء مروية الأصل . ففى مكان آخر من هذا البحث أمكن إثبات أن النهاية « — قه » فى أسماء أفراد الاسرة مروية .

وهنا يمكن إضافة الملاحظات الآتية :

١ — اسم الملك Senkamanisken يحتوى على إضافة لغوية —S— ويمكن تفسيره بمساعدة قواعد اللغة المروية .

٢ — اسم الملك Amaninatakilebte يحتوى على نهاية الجمع المروية — لب — LEB وحرف الجر TE — بمعنى «فى» .

٣ — اسم الملكة Mekmle يتكون من مك MK = إله وملى MLE = طيب أو حسن ، ويلاحظ أيضا أن لفظ ملى MLE موجود أيضا فى إسم الملك Malewiebamani وفى أسماء عديدة لأفراد هذه الاسرة .

٤ — وكلمة كوار أو كور QOR التى وردت فى تقرير الملك بسمانيك الثانى عن حرية النوبية ، إنما تدل على كلمة الحاكم ويقصد بها العدو وهى نفسها كلمة قور = ملك فى اللغة المروية .

(Sauneron—Yoyotte, BIFAO 52, 1952, pp. 157—207)

ومن ذلك يبدو واضحا أن اللغة المروية كانت هى لغة ملوك نبتة المحلية .

ومن الأدلة على صلة القرابة بين المرويين وبين سكان منطقة النوبة فى الدولة الحديثة هو ظهور إسم مروى لسيدة من أيام الدولة الحديثة : وهذا الإسم «ملكاشتى» يمكن تفسيره بالمروية كالآتى : ملى = جميل أو طيب أو حسن ، وكلمة كاشتى = كوش + تى = فى فيكون المعنى : الجميلة فى كوش . (Ranke, P. N. I, S. 163, Nr.9)

وهنالك اسم ملكة من العصر المتأخر (؟) هى كاتيملى (Budge, The Egypt. Sudan II, p, 117) يحتوى على : كاتى أو كادى = امرأة وملى = جميل (أنظر أيضاً Grapow, ZAS, 76, S. 24 ff) .

وقد حاول بوزنر من قبل أن يوجد صلة بين أسماء أمراء النوبة أيام الدولة الوسطى وبين اسماء ملوك الاسرة الخامسة والعشرين .

(Posener, Princes et Pays, p. 52)

وإنى على ثقة بأن زيادة معرفتنا باللغة المروية سوف تثبت أن العديد من الاسماء الغير مصرية لأفراد من كوش ذات أصل مروى . ومما سبق يمكن تأكيد صلة القرابة ، التى أمكن إثباتها من الناحية الأثرية ، بين كل من ملوك نبته وأصحاب الحضارة المروية من جانب ، وبين سكان النوبة وشمالى السودان زمن الدولة الحديثة من جانب آخر .

خاتمة

أمدتنا المصادر التاريخية التى عثر عليها فى كوة وجبل البركل على وجه الخصوص ، بالإضافة إلى عـــديد من الآثار عثر عليها فى كل من مصر والسودان ، بطرف من كفاح البيت الحاكم فى نبته .

ولعل أقدم ذكر لأحد رؤساء تلك الدولة أن يكون عن « ألرا » Alara الذى يعتبر مؤسس الأسرة . فلقد كتب اسم « ألرا » داخل طغراء الملك فى لوح يخص ابنته الملكة « تابيرى » زوجة الملك « بعنخى » ، كما تحدثت النصوص التى عثر عليها فى كوة عن مدى تدين « ألرا » وعن سلوكه فيما يتعلق بالمعبود آمون ، الذى اتخذته الأسرة معبوداً رسمياً ، تماما كما كان أيام ازدهار الحضارة المصرية فى طيبة . ولا جدال فى أن مقبرة « ألرا » تقع ضمن مقابر أسلاف الأسرة الخامسة والعشرين فى « الكرو » وعددها ١٣ مقبرة ، تمتد على مدى خمسة أجيال تنتهى قبيل قيام الأسرة المذكورة مباشرة ، وهى نفس المرحلة التى أغفلتها المصادر التاريخية فيما يتعلق بتاريخ السودان .

وفيما يختص بخليفة « ألرا » المدعى « كاشتا » Kashta ، فكل معلوماتنا عنه تنحصر فى أنه أخ « ألرا » . وكانت القاعدة المتبعة تقتضى بأن تكون وراثة العرش من نصيب الأخ بعد وفاة أخيه ، ثم تؤول إلى الإبن الأكبر للأخ الأول ، وهكذا . ولا ريب فى أن ذلك التقليد فى وراثة العرش إنما مرجعه إلى تقاليد محلية موروثة . ولقد حمل « كاشتا » لقب ملك ، بعكس سلفه . ولكنه لم يدعى لنفسه كل ألقاب ملوك مصر ، مع أنه استطاع التقدم بجنده السودانيين نحو الشمال ، واستولى على طيبه وعلى جزء من صعيد مصر ، ثم أجبر الملك الليبي أسركون الثالث على التقهقر إلى الدلتا ، كما انه أرغم ابنة الملك الليبي — التى كانت على رأس كهنة آمون فى طيبة — على تبنى ابنته « أمنرديس » Amenirdis بغرض السيطرة على كهنة آمون وأملاكه

الشاسعة . وأصبح الملك السودانى فى موقف قوى بعد ضمه لطيبه ولجزء من صعيد مصر إلى مملكته نبته . إلا أنه توفى عام ٧٥١ ق . م .

وخلف « كاشتا » لابنه وولى عهده « بعنخى » Piankhy مهمة إتمام مابدأه ، لفتح شمال الوادى وتوحيده تحت زعامة نبته . ولقد أشرنا من قبل إلى أن اسم بعنخى من الأسماء المصرية القليلة التى حملها أفراد البيت الحاكم فى نبته . واسمه مشتق من كلمة «عنخ» = الحياة ، ولعل معناه «الحى» ، وكان هذا الاسم معروفاً فى مصر منذ زمن الأسرة الحادية والعشرين المصرية ، حين حملة « بعنخى » ابن « حريحور » عاهل تلك الأسرة .

ووصلت إلينا أخبار « بعنخى » — فيما يتعلق بجهوده لتوحيد الوادى تحت لواء نبته — مسجلة بلغة مصرية على لوح حجرى ضخم (١,٨ × ١,٨٤ مترا) عثر عليه عام ١٨٦٢ فى معبد آمون بجبل البركل (أنظر اللوحة رقم ٩) أمر « بعنخى » بإقامته فى رحاب آمون تخليداً لعمله التاريخى العظيم ، ففيه وصف مهب لسير الوقائع الحربية ، كما يحتوى على معلومات قيمة عن معتقدات الأسرة الحاكمة السودانية ، وعن تقاليد ملوكها ، بالإضافة إلى بيانات جغرافية عن المناطق المصرية التى قام الملك بفتحها . وإلى بعنخى تنسب إحدى بوابات معبد الكرنك الشهير بطيبه ، إلى جانب عدد من العمائر الأخرى .

وهكذا استطاع أولئك الملوك السودانيين تأسيس البيت الحاكم الذى عرف فى تاريخ حضارات وادى النيل القديمة باسم الأسرة الخامسة والعشرين . ومع استمرار أفراد الأسرة فى بناء مقابرهم فى نبته عند الشلال الرابع ، فإنهم اعتبروا كلا من طيبة وتانيس (فى شرق الدلتا) عاصمتين متبادلتين لهم . وأصبحوا بذلك على صلة بأحداث العالم القديم .

وشيد ملوك نبته مقابرهم على الشكل الهرمى ، الذى عرفته مصر منذ أيام الدولة القديمة ، مستعملين الحجر النوبى المحلى ، مما أدى إلى سرعة تأثرها بعوامل التعرية وإلى ضياع نقوشها وتفاصيلها المعمارية .

وكانت المجموعة الهرمية لكل فرد من أفراد الأسرة تتألف من : الهرم — وهو فى حد ذاته مبنى حجرى ليس به أى حجرات أو ممرات. ملحق به مقصورة صغيرة نسبياً ، بسيطة التكوين ، تقوم مقام المعبد الجنائزى . وكان الدفن يتم فى حجرات تحت سطح الأرض وأسفل الهرم . يصل إليها مدخل يقع غير بعيد من مبنى الهرم ، والجدير بالذكر أن ملوك نبتة ومروى من بعدهم حافظوا على ذلك التقليد فى بناء المعبد الجنائزى البسيط الملحق بالهرم ، وربما كان ذلك له صلة بتقاليد موروثة من حضاراتهم القديمة .

وتعد « الكرو » على الجانب الغربى للنيل عند نبتة ، أقدم الجبانات الخاصة بتلك الأسرة ، وفيها أيضاً دفن أسلافها الأولين ، والتى أدت دراسة مقابرهم إلى كشف النقاب عن الأصل المحلى للبيت الحاكم فى نبتة . وشيدت هناك أيضاً مقابر الملوك بعنخى وشباكو وشبتكو ، وكذا مقبرتا الملك تانوت أمانى وأمه قلهته(Qalhata) ، اللتين احتفظتا ببعض ألوان نقوشهما الداخلية حتى اليوم .

وبعد أن امتلأ المكان فى « الكرو » انتقل الدفن شمالا إلى « نورى » شرق النيل . حيث بنى الملك « طهارقة » (تيرهاقا فى التوراة) أكبر أهرامات تلك الجبانة ، وتبعه العديد من ملوك وملكات نبتة ، بعد أن انتهى حكم الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر واقتصر على السودان .

وتدل مخلفات تلك الأسرة على أن أصحابها تأثروا إلى حد كبير بالحضارة المصرية ، فأضحت كل مظاهر حضارتهم تقريباً ذات لون مصرى . فإلى جانب استعمالهم للغة المصرية فى أمورهم الرسمية ، فإن مقابرهم اتخذت الشكل الهرمى ، وقد زينوها بالمناظر والنصوص الدينيـة المصرية . كذلك فإن معابدهم ، التى بنيت على الطراز المصرى ، انتشرت فى « البركل » وفى « كوة » وفى غيرها ، وهى تشير بشكل قاطع إلى أن المعبودات المصرية الرئيسية كانت هى نفسها معبودات الأسرة الخامسة والعشرين . بل إنهم اعتبروا جبل البركل

حيث معبد آمون الكبير ، مستقراً ثانياً لآمون معبود الدولة الرسمى ، بعد طيبة .

واستمر الوجود الرسمى للأسرة الخامسة والعشرين فى مصر منذ أن حاول الملك « كاشتا » فتح الصعيد حوالى عام ٧٥٠ ق . م . إلى أن تمكن « إسرحدون » الآشورى عام ٦٧١ ق . م . من الإستيلاء على منف ، حيث وقع ابن « طهارقة » وحريم الملك فى قبضة الجيش الآشورى . ثم استطاع الملك « آشور بانيبال » بعد ذلك تحطيم مدينة طيبة لأول مرة فى تاريخها الطويل ، فى ثانى حملة له على وادى النيل ، بعد أن أبلى ملوك نبتة بلاء حسناً فى الدفاع عنه . بيد أن نفوذ ملولا نبتة عاد من جديد إلى طيبة واستمر إلى أن تحالف الملك « بساماتيك الأول » Psammetich I من أمراء الدلتا المصريين ، مع ملك « ليديا » فى آسيا الصغرى المدعو « جيجس » Gyges وتمكن من الإستيلاء على طيبة عام ٦٥٤ ق . م . من أيدى ملوك نبتة بمساعدة الجند المرتزقة اليونانيين والكاريين . وذلك بعد أن استطاع طرد فلول قوات الاحتلال الآشورى من مصر . معنى ذلك أن نفوذ ملوك نبتة فى مصر استمر على وجه العموم مايقرب من مائة عام .

وكان للتفوق الحاسم للجيوش الآشورية بأسلحتها الحديدية أكبر الأثر فى عودة ملوك نبتة إلى عاصمتهم الأولى ، ومن هناك جرت محاولات لإستعادة شمال الوادى ، كانت آخرها على يدى « تانوت أمانى » ، آخر ملك من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (الذى عاد إلى جبانة « الكرو » فبنى مقبرته بالقرب من مقبرة الملك « شباكو ») .

وقد سجل اللوح التذكارى (الذى عثر عليه فى تانيس شرقى الدلتا) . للملك المصرى « بساماتيك الثانى » من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، أخبار الحملة التى قام بها الملك قاصداً نبتة عام ٥٩١ ق . م . ، وكان من نتيجتها تحطيم تلك العاصمة ، ولقد اصطحب « بساماتيك الثانى » فى حملته أعداداً

كبيرة من الجند المرتزقة الإغريق ، الذين نقشوا أسماءهم للذكرى على أقدام تماثيل الملك « رمسيس الثانى» المقامة أمام معبد أبو سمبل الكبير ، عند عودتهم من السودان . وكان تعرض عاصمة مملكة نبتة لذلك الهجوم من الأسباب المباشرة التى أدت إلى نقل العاصمة من نبتة إلى مروى جنوبا والتى تبعد عن الخرطوم حوالى ٢٣٠ كم (البجراوية حالياً) .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن ذلك تم فى زمن الملك « أسبلتا » Aspelta (٥٩٣ — ٥٦٨ ق . م .) ويعتبر مؤسس دولة مروى الأولى . وجدير بالذكر أنه آخر ملك يدفن فى جبانة « نورى » الملحقة بالعاصمة نبتة .

ويذكر المؤرخ الإغريقى هيرودوت أن ملك الملوك الفارسى قمبيز — الذى استطاع ضم مصر إلى إمبراطوريته الشاسعة (بين عامى ٥٢٥ — ٥٢٢ ق.م.) قد أرسل جيشا إلى إثيوبيا (ويقصد مملكة مروى أو دولة كوش) إلا أن جيشه ضاع فى الصحراء .

وقبيل فتح الإسكندر لمصر ، استطاع ملك نوبى يدعى « خبباش » Chababash (Hmbs—wtn) ما بين عامى ٣٣٨ — ٣٣٥ ق . م . — كان يسيطر على النوبة السفلى مناهضاً للملك المروى « نستاسن » Nastasen (٣٣٥ — ٣١٥ ق . م) مؤسس دوله مروى الثانية — أن ينتهز الثورة التى قامت فى مصر ضد الحاكم الفارسى ، ويدعى لنفسه ملك مصر — وفى لوح الملك « نستاسن » (رقم ٢٢٦٨ بالقسم المصرى بمتحف برلين الشرقية) ذكر الملك أنه أرسل جيشاً لملاقاة غريمه النوبى « خبباش » ، وأنه هزمه شر هزيمة (أنظر صورة اللوح وترجمته فى ص ٢٣ — ٢٧ من الكتيب : (Nubien u. Sudan in Altertum) .

وبعد فتح الرومان لمصر بزمن قصير تمكنت القوات التابعة للملك المروى « ترتقاس » Teriteqas ، وزوجة الملكة الحاكمة « أمانيرناس »

Amanirenas (التى أطلقت عليها المصادر الكلاسيكية Candace = وهو لقب مروى معناه الملكة الحاكمة) وابنهما الأمير المتوج « أكنداد » Akinidad عام ٢٤ ق . م من التقدم شمالا حتى « دكة » بالنوبة السفلى ، وحدث بعد ذلك أن توفى الملك المروى ، فتولى « أكنداد » قيادة الحملة . وتمكن من فتح « فيلاى » وجزيرة فيله وأسوان ، وكانت تعتبر كعبة لكل من المرويين والمصريين طوال حكم الرومان لمصر ، كما كانت رسل ملوك مروى تحضر إليها سنويا حاملة الهدايا المعبودة إيزيس . وحمل الجيش المروى الغازى معه لدى عودته ، ضمن ما حمل من سبايا وأسلاب ، بعض تماثيل الإمبراطور الرومانى « أغسطس » المقامة فى « فيلة » . والجدير بالذكر أن حفائر « جرستنج » Garstang فى منطقة القصر الملكى بمروى القديمة (البجراوية حالياً) قد كشفت عن رأس لتمثال «أغسطس» من البرونز — واضطر الوالى الرومانى لمصر المدعو بترونيوس « Petronius» عام ٢٣ ق . م. أن يخرج على رأس جيش رومانى لملاقاة الجيش المروى .

واستطاع الرومان دخول نبتة ، ثم عادوا وعسكروا فى « قصر إبريم » (Primis) ، هنالك أرسل المرويون رسلهم للتفاوض مع الإمبراطور «أغسطس» (الذى كان يستجم فى جزيرة ساموس فى البحر الإيجى قرب سواحل آسيا الصغرى) ، وتم تحديد شروط الإتفاق ، من بينها أن تكون بلدة « المحرقة » Maharraqa = Hiere Sycaminus بالنوبة السفلى ، هى الحد الفاصل بين الدولة المروية وأقصى حدود الإمبراطورية الرومانية جنوبا فى إفريقيا .

وحاول القيصر نيرون Nero (٥٤ — ٦٨ م) أن يمهد لغزو مملكة مروى ، فأرسل بعثتين ، إحداها لاستكشاف منابع النيل ، والأخرى للاستطلاع والتجسس تمهيداً لإعداد حملة حربية ، ووصلت البعثتان حتى مستنقعات النيل الأبيض ، وكانت نتائجهما غير مشجعة .

نهاية مملكة مروى :

عاشت مملكة مروى حتى مطلع القرن الرابع الميلادى . وأخذت كثير من العناصر المحلية تظهر فى آثارها . فبدت عناصر معمارية جديدة تمثلت فى عماره المعابد فى « المصورات الصفراء » حيث قام مركز دينى هام . وفى «النقعة» (أنظر اللوحة رقم ١٠ ، ١١) وفى مروى كذلك فيما يختص بالمقابر بشكلها الهرمي المدبب ومقاصيرها البسيطة . (لوحة رقم ١٢) . وفى النقوش والرسوم (لوحة رقم ١٣) . وإذا أمعنا النظر فى أزياء الملوك وفى زينتهم . وكذا أفراد البيت الحاكم ، نلاحظ اختلافا كبيراً عن نظيرتها فى مصر .

ولم يستمر ملوك مروى إلى الأبد فى استعمال اللغة والكتابة المصريتين فى تصريف أعمالهم الرسمية ، وإنما بدت محاولات رائعة فى ابتكار كتابة مروية خاصة للغتهم . فظهرت أبجدية مروية مصورة (تقابل الهيروغليفية المصرية) أغلبها مقتبس من الأبجدية المصرية المتأخرة وعدد حروفها ٢٣ حرفاً . ثم ابتكروا حروفاً مبسطة . وتمتاز الحروف المروية عن نظيرتها المصرية بأن كل حرف يدل على صوت واحد ، أى أنها أبجدية صرفة ، كما تتميز باستعمال الفواصل بين الكلمات (: ، :) ولعلها تتفق فى ذلك مع الكتابتين الكنعانية والآرامية . وهى تختلف فى جوهرها عن اللغةالمصرية، وما زالت المحاولات الجدية جارية لفك رموزها ، وخاصة بعد أن أمدتنا الحفائر الحديثة بحصيلة لا بأس بها من النصوص .

ومن ناحية العقائدظهرت معبودات محلية جديدة من بينهما الأسد (أبدماك Apedemak) ، الذى كان يكثر وجوده حتى عهد قريب فى منطقة « البطانة » — بين عطبرة والنيل الأزرق — وأقيمت له المعابد فى النقعة والمصورات ونحتت التماثيل أيضاً .

وليس هناك عدا القليل من المصادر التاريخية التى تتحدث عن نهاية مملكة

مروى ، تلك التى ساهم ملوك أكسوم الأحباش فى وضعها ، عن طريق الحملات الحربية التى أرسلوها إلى مروى . ولقد انتهز الفرصة شعب جديد يدعى النوبا Noba (وهو غير النوبيين الحاليين) وأخذ يستوطن منطقة الحضارة المروية تدريجيا : ويكاد يتفق على أن سقوط مملكة مروى يرجع إلى حوالى عام ٣٢٠ م . ويحكى الملك عيزانا Aizanas الأكسومى (حوالى عام ٣٥٠ م) عن إرسال حملة حربية ضد كوش والنوبا ، والتى قادته إلى منطقة مروى ، وفى اللوحة التذكارية التى كتبت باليونانية يسمى نفسه ملك كاسو = كوش .

الاختصارات

AJSL . The American Journal of Semitic Languages and Literatur, Chicago and New York.

Ann, d. Serv. Annales du Service des Antiquités de l'Égypte, Le Caire.

BAR . Breasted, Ancient Records of Egyptian, Historical documents from the earliest times to the Persian conquest Chicago 1906.

B. M. British Museum.

Cat. Gén. Catalogue Génrale des Antiquités égyptiennes du Musée du Caire, Le Caire.

JEA . Journal of Egyptian Archaeology, London.

Ku . Kurru.

Kush . Kush. Journal of the Sudan Antiquities Service, Khartoum.

L.A.A.A. Annales of Archeeology and Anthropology issued by the Institute of Archaeology, University of Liverpool, Liverpool.

LD. Lepsius Denkmäler.

LR. Livre des Rois de l'Egypte, Le Caire.

Meroit Inscr. Meroitic Inscriptions.

Meroit. Stud. Meroitic Studies.

Mém. Miss. Fr. Mémoires publié par les membres de la mission français du Caire.

M. F. A. B. Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

Mitt. d. dt. Inst. Mitteilengen des deutschen Instituts fuer Aegyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin.

Nu. Nuri

RCK. Royal Cemetery of Kush.

Rec. d. trav. Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes, Paris.

S. N. R. Sudan Notes and Records, Khartoum.

S P A W. Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wiesenschaften, phil.-hist. Klasse.

Urk. Urkunden des ägyotischen Altertums, begrundet von Georg Steindorff, in Verbindung mit Siegfried Schott, herausgegeben von Hermann Grapow.

ZAS. Zeitschrift fuer ägyptische Sprache und Altertumskunde, Berlin-Leipzig.

Wb. Wörterbuch der ägyptischen Sprache, A. Erman und H. Grapew.

WbZ. Wörterbuch der ägyptischen Sprache, A. Erman und H. Grapow, Zettelkatalog.

المراجع

Anthes, R. : Die Felseninschriften von Hatnub. In : Sethe, Untersuchungen, Leipzig 1928.

Arkell, A.J. : A history of the Sudan, London 1955.

: "Varia Sudanica" in JEA, XXXVI, p. 36.

: Notice of Recent Publications. JEA 37, 1951.

The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan, Khartoum, 1949.

Shaheinab, Oxford 1453.

Early Khartoum, Oxford 1949.

Badawi, A.M. : أحمد بدوى ، فى موكب الشمس . الجزء الثانى ، الطبعة الأولى vol. II., Cairo 1950.

Bakir, A. : Slavery in Pharaonic Egypt. Cahier no. 18, Sup, Ann. Serv. Caire 1952.

Bakr, M. : Untersuchung zur Herkunft der 25. Dynastie, Dissertation, Berlin 1962.

" : The Relationship Between C-Group, Napatan and Meroitic Cultures, in Kush XIII., pp. 261—264.

Bates, O. : The Eastern Libyans, London 1914.

Blackman, A,M. : The Temple of Derr, "Les Temples immergés de la Nubie", Le Caire 1913.

Bonnet, H, : Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte, Berlin 1952.

Bouriant, U. : Tombeau de Harmhabi, Mém. de la Miss. Française, V, 1893, pp. 413—434.

Breasted, J.H. : Ancient Records of Egypt. Historical documents from the earliest times to the Persian conquest, vol. III, Chicago 1906.

Geschichte Aegyptens. Deutsch von H. Ranke, Köln 1957.

Brugsch, H.: Reise nach der Grossen Oase El-Kharge in der Libyschen Wüste, Leipzig 1878.

Brunner-Traut, E.: Der Tanz im Alten Aegypten. Aegyptologische Forschung, 6, 1938.

Brunton, G.: Mostagedda, London 1937.

Budge, E.A.W.: A history of Egypt. Vol. VI: Egypt under the Priest-Kings and Tanites and Nubians, London 1920.

« : The Egyptian Sudan, its history and monuments, vol. I, London 1907.

Carnarvon and Carter: Five Years Explorations at Thebes, Oxford 1912.

Carter, H.: Tutench.Amun. III, Leipzig 1934.

Champdor, A.: Die Altaegyptische Malerei, Leipzig 1957.

Couyat, J. et Montet, P.: Les Inscriptions du Ouadi Hammâmât. Mém. de l'Institut Français au Caire, XXXIV, Le Caire 1912.

Daressy, G.: Fouilles de la Vallée des rois, Catalogue Generale des Antiquités d'Egypte, Caire 1898/99.

Davies, N.: The Tomb of Amenmose (Nr. 89) at Thebes, JEA 26, p. 131 ff.

« : The Tomb of Ken-amun at Thebes, The Metropolitan Mus. of Art, Egyptian Expedition. New York 1930.

Davies N., Gardiner A.: The Tomb of Huy (No. 40). The Theban Tombs Series, IV memoir, London 1926, pp. 23-25.

Devéria, Theodûle: Le Papyrus judicaire de Turin et les papyrus Lee et Rollin, Étude Égyptologique, Paris, MDCCCLXVIII.

Drioton, E., Vandier, J.: Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, II. L'Égypte, Paris 1952.

Dunham, D. : The Royal Cemetries of Kush :

I. El-Kurru, Cambridge 1950.

II. Nuri, Boston 1955.

III. Decoration Chapels of the meroitic Pyramids at Meroe and Barkal, Boston 1952.

IV. Meroe and Barkal, Boston 1957.

" : An experiment in reconstruction at the Museum of Fine Arts, Boston. JEA 26.

Edel, E. : Der Reisebericht des Hrw-hwj. f, Inschriften des Alten Reiches, V, Sonderdruck aus dan ägyptologischen Studien Deutsche Akademie der Wissenscheft, Institut fuer Orientforschung, Berlin 1955.

Edwards, I E. : The Pyramids of Egypt, London 1952.

Emery-Kirwan : Excavations between Wadi Es Sebua and Adindan 1929-1931, Mission Archéologique du Nubie 1929-1934, Service des Antiquités de l'Égypte 1935.

" Royal Tombs at Ballana and Qustul, Mission Archéologique de Nubie 1929-1934, Service des Antiquités de l'Égypte, 1938.

Firth, C.M. : The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1908/9, Cairo 1912, Report for 1909/10, Cairo 1915.

Gardiner, A. : The Defeat of the Hyksos by Kamose : The Carnarvon Tablet, No. I, JEA 3, p. 95 ff.

Gardiner, A. and Peet : The Inscriptions of Sinai, Part I, Egypt Exploration Fund, London 1917.

Garstang-Sayce and Griffith : Meroe, The City of the Ethiopians, An Account of the 1st Season 1909—1910, Oxford 1911.

Gauthier, H. : Livre des Rois de l'Égypte, Tome III et IV, Le Caire 1914/1916.

« : Dictionnaire des noms géographiques, T. I, IV, V, Le Caire 1915, 1927, 1928.

« : Le Fils Royaux de Ramsès Pa-Ched-Bastit, Annales des Services des Antiquités de l'Égypte, No. 18, pp. 259-260,1918/1919.

« : Lès Temples immegrés de la Nubie :
Le Temple d'Amada, Le Caire 1913.
Le Temple de Kalabchah, Le Caire 1911.

Giorgini, N.S : Excavations at Soleb, Kush VI, 1958, pp. 97 ff.

Grapow, H. : Aegyptische Personennamen zur Angabe der Herkunft aus einem Orte, ZAS. 73, 1937, S. 44 ff.

« : Die Inschrift der Königin Katimala, ZAS. 76, 1940, S. 24 ff.

Griffith, P. : Meroitic Studies, JEA III, 1916, p. 111, IV, 1917, p. 21 ff, XV, 1929, p. 71, London.

« : Meroitic Inscriptions, I, p. 57 ff, London 1911/12.

« : The Cemetery of Sanam, Oxford Excavations in Nubia, p. 105 ff., from the Annals of Archaeology and Anthropology, vol. X, Liverpool 1923.

Gunn, B. : A middle Kingdom Stela from Edfu, Ann. Serv. XXIX, p. 5-14, 1929.

Habachi, L. : The Graffiti and work of the Viceroys of Kush in the region of Aswan, Kush V, p. 13 ff., 1957.

Hamza, M. : Excavations of the Department of Antiquities at Qantîr (Faqus District) (Season May 21st—July 7th 1928), Ann. Serv. XXX, 1930.

Helck, W. : Zur Verwaltung des mittleren und des neuen Reiches, Probleme der Aegyptologie, Bd. III, Leiden-Köln 1958.

Hermann, A. : Das Grab eines Nachtmin in Unternubien. Mitteilungen des deutschen Instituts in Kairo, Bd. 6, p. 12 ff. Berlin 1936.

Herzog. R. : Die Nubier, Berlin 1957.

Hintze, F. : Die Sprachstellung des Meroitischen, Afrikanische Studien 1955, S. 357.

: Studien zur meroitischen Chronologie und zu den Opfertaflen aus den Pyramiden von Meroë, Abhandlung der Deutschen Akademie der Wissenschaften, Berlin 1959.

Nubien und Sudan im Altertum, Sonderaustellung Berliner Aegyptischen Museums, 1963.

Hölscher, W. : Libyer und Aegypter, Aegyptologische Forschung, Heft 4, Hamburg 1937.

Janssen, J. : Annual Egyptological Bibliography, Leiden 1958.

Junker, H. : Bericht ueber die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von *Ermenne* im Winter 1911/12, Wien 1925.

: Bericht ueber die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von *Kubbanieh-Nord* 1910/11, Wien.

Kaiser, W. : Stand und Probleme der ägyptologischen Vorgeschichtsforschung, ZAS 81, 1956, S. 87 ff.

Kamal, A. : Rapport sur Quelques Localités de la Basse-Égypte, Ann. Serv. 1906, pp. 236-237.

Katznelson, I. : Certains Traits de l'Organisation d'Etat en Nubie du VI au IV Siécles avant notre ère, XXV Congrès international des orientalistes, Moscou 1960

Kees, H. : Kulturgeschichte des Alten Orients, I Aegypten, Anhang Nubien, Muenchen 1933.

« : Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates. Nachrichten der Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen. Phil.-Historische Klasse. Fachgruppe I, Altertumswissenschaft, NF, Bd. II. Nr. 1, Göttingen 1936.

« : Das Priestertum in Aegyptischen Staat. Probleme der Aegyptologie I, Leiden—Köln 1953. S. 264 ff.

« : Der Götterglaube in Alten Aegypten, Berlin 1956.

Krall, J. : Beiträge zur Geschichte der Blemyer und Nubier, Wien 1898.

Lacau, P. : Une Stèle du Roi "Kamosis", Ann. d. Serv. 39, pp .254-271, Pl. XXXVII and XXXVIII.

Leclant, J. et Raccah, A. : Dans les Pas des Pharaons, Paris 1958.

Lepsius, R. : Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, III, V. Berlin 1849-1859.

Lhote, A. : Les Chefs-D'Oeuvre de la Peinture Égyptienne, Paris 1954.

Maçadam, M.F.L. : The Temples of Kawa, I, II, Text and Plates, Oxford 1949.

Mac Iver, D. and Wooley, L. : Buhen. University of Pennsylvania, Egyptian Department of the University Museum, Exp. 15 Nubia, vol. 7, 8, Pennsylvania, 1911.

Mariette, A. : Monuments divers recueillis en Égypte et en Nubie, Paris 1889.

Maspero, G. : Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient Classique. Les Empires, Paris 1899,

Meissner, B. : Beiträge zum Altbabylonischen Privatrecht. Assyriolsgische Bibliothek, herausgegeben von F, Delitzsch und Haupt, Bd. XI, Leipzig 1893.

Meyer, Ed. : Geschichte des Altertums I, 350—353 : Das Reich von Napata und die Eroberung Aegyptens durch die Aethiopen. Stuttgart 1884.

Möller, G. : Metallkunst der Alten Aegypter. Berlin 1925.

Moortgat, A. : Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus, in: A. Scharff- Moortgat, agypten und Vorderasien im Altertum, Weltgeschichte in Einzeldarstellungen, Muenchen 1950.

Moss, P. : The ancient Name of Serra, JEA 36, p. 41/42, 1950,

Mueller, W. M: Who were the ancient Ethiope? Orient, Studien, Philadelphia, 1894, p. 7.

Newberry, P. E. : Beni Hassan, I. Archaeological Survey of Egypt, Ed. by F. L. Griffith.

Otto, E. : Der Weg des Pharaonenreiches, Stuttgart 1953.

Peet, T. E. ; Great tomb robberies of the twentieth Egyptian Dynasty, vol. I and II, Oxford 1930.

« : The Chronological Problems of the twentieth Dynasty, JEA, 14, pp. 52—73, 1928.

« : The Supposed Revolution of High - priest Amenhotepe under Ramses IX, JEA 12, pp. 254-259, 1926.

Petrie, F. : Diaspolis parva 1898/9, The Egypt. Exploration Fund, 20, London 1901.

« : Qurneh. British School of Archaeology in Egypt and Egyptian Research account, London 1909.

« : Royal Tombs of the 1st Dynasty, I, London 1900.

« : A Season in Egypt, London 1888.

Petrie, F. : Sedement, I, British School of Archaeology in Egypt, London 1924.

Porter-Moss : Bertha Porter and Rosalind Louisa Baufort Moss, assisted by Ethel Wordsworth Burney, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Historical Texts, Reliefs and Paintings, VII, Nubia, the Deserts, and outside Egypt, Oxford 1951.

Posener, G. : Pour une Localisation du Pays Koush au Moyen Empire, Kush VI, 1958.

« : Princes et Pays de l'Asia et Nubie. Bruxelles 1940.

« : Beiträge in Knaures Lexikon der ägyptischen Kultur, in Zusammenarbeit mit Serge Sauneron und Jean Yoyotte, Muenchen-Zuerich, S 27—28, 48—49, 87 ff, 152 ff, 188 ff.

Ranke, H. : Aegyptische Personennamen I, Glueckstadt-Hamburg 1935.

« : Keilschriftliches Material zur altägyptischen Vokalisation, Abh. d. Kgl. Preus. Akademie der Wiss., Berlin 1910.

« : Die Religion in Geschichte und Gegenwart, Separatdruck aus Bd. I, Aegypten (I-IV) ; Aethiopien im Altertum, Tuebingen, O.J.

Reisner, G. : Excavations at Kerma, Parts I—III and IV—V, Harvard African Studies, vol. V u. VI. Cambridge 1924.

« : Archaeological Survey of Nubia. Report for 1907—1908, vol. I.

« : Note on the Harvard-Boston excavations at El-Kurruw and Barkal in 1918/19, JEA 6, 1920, pp. 61-64.

Reisner, G.; Accessions to Egyptian Collection during 1914, B. Excavations at Kerma—Hebzefa, Prince of Assiut and Governor of the Sudan, MFAB XIII, Boston 1915, p. 71 ff.

« : Excavations at Napata, The Capital of Ethiopia, MFAB XV, Boston 1917, p. 25-34.

« : Known and Unknown Kings of Ethiopia, MFAB XVI, Boston 1918, pp. 67-82.

« : The Royal Family of Etiopia, MFAB XIX, Boston 1921, p. 21-38.

« : The Pyramids of Meroe and the Candaces of Ethiopia, MFAB XXI, Boston 1923, pp. 12-27.

« : Excavations in Egypt and Ethiopia, MFAB XXIII, Boston 1925, pp. 18-28.

« : The Discovery of the Tombs of the Egyptian XXV Dynasty, Sudan Notes and Records, vol. II, 1919, pp. 237-254.

« : Outline of the Ancient History of the Sudan, IV: The First Kingdom of Ethiopia, Sudan Notes and Records, vol. II, 1919, p. 357.

« : Report on the Egyptian Expedition of Harvard University and the Boston Museum of Fine Arts 1913— Excavations at Kerma II, ZAS 52, 1913, p. 34-49.

« : Inscriped Monuments from Gebel Barkal, The Granite Stela of Thutmoses' III, ZAS 69, 1933, pp. 24-39.

« : The Viceroys of Ethiopia, JEA, VI, pp. 28-55.

Säve-Söderbergh, T. : Aegypten und Nubien, Lund 1941.

« : A Buhen Stela from the Second Intermediate Period, JEA 35, 1947, pp. 50-58.

« : The Hyksus Rule in Egypt, JEA 37, 1949, pp. 53-71.

Säve--Söderbergh, T.: A Nubian Kingdom of the Second Intermediate Period, Kush IV, 1956, pp. 54-61.

Schäfer, H.: Urkunden der alten Aethiopenkönige (Urkunden des ägyptischen Alterums, Abt. III) 1905.

" : Urkunden des Alten Reiches, 2. Aufl. (Urkunden des ägyptischen Altertums, herausg. v. G. Steindorff I) Leipzig 1932-33.

" : Aegyptische Goldschmiedearbeiten. Unter Mitwirkung von G. Mueller und W. Schubart, Mitt. aus der ägypt. Sammlung der Kgl. Museen zu Berlin, Bd. I, S. 55 ff., Berlin 1910.

" : Die äthiopische Königsinschriften des Louvre, ZAS XXXIII, 1895, pp. 101-113.

Scharff, A.: Der historische Abschnitt der Lehre fuer Merikarî, Sitz. d. Bayer. Akad. d. Wiss. Phil.-hist. Abt., Jahrgang 1936, Muenchen.

Scheil, D.: Le Tombeau de Djanni, Mém. Miss Fr., V, p.592 ff.

Schmidt, G.: Das Jahr des Regierungsantritts König Taharqas, Kush VI, S. 121 ff., 1958.

Sethe, K.: Die Aechtung fiendlicher Fuersten, Völker und Dinge auf altägyptischen Tongefässscherben des MR, Berlin 1926.

Simpson, W. Kelly: Heka-Nefer, Publications of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt, No. 1, New Haven & Philadelphia 1963.

Smith, W.S.: Ancient Egypt, Boston. Mus. of Fine Arts, Boston 1946.

Spiegelberg, W.: Die Demotischen Denkmäler-Die Demotischen Inschriften, Bd. II, Text, S. 190 and II Tafel, Nr. 30841.

Steindorff, G. : Aniba, I, II. Service des Antiquités de l' Égypte, Miss Archéol. de Nubie 1929-1934, Glueck-stadt 1935-1937.

Thabit, H.T. : The Tomb of Djehuty-Hetep, Prince of Serra, Kush V, 1957, p. 81 ff.

Vercoutter, J. : New Egyptian texts from the Sudan, Kush IV, pp. 66-82.

» : Excavations at Sai 1955/57, Kush VI, 1958, p.148 ff.

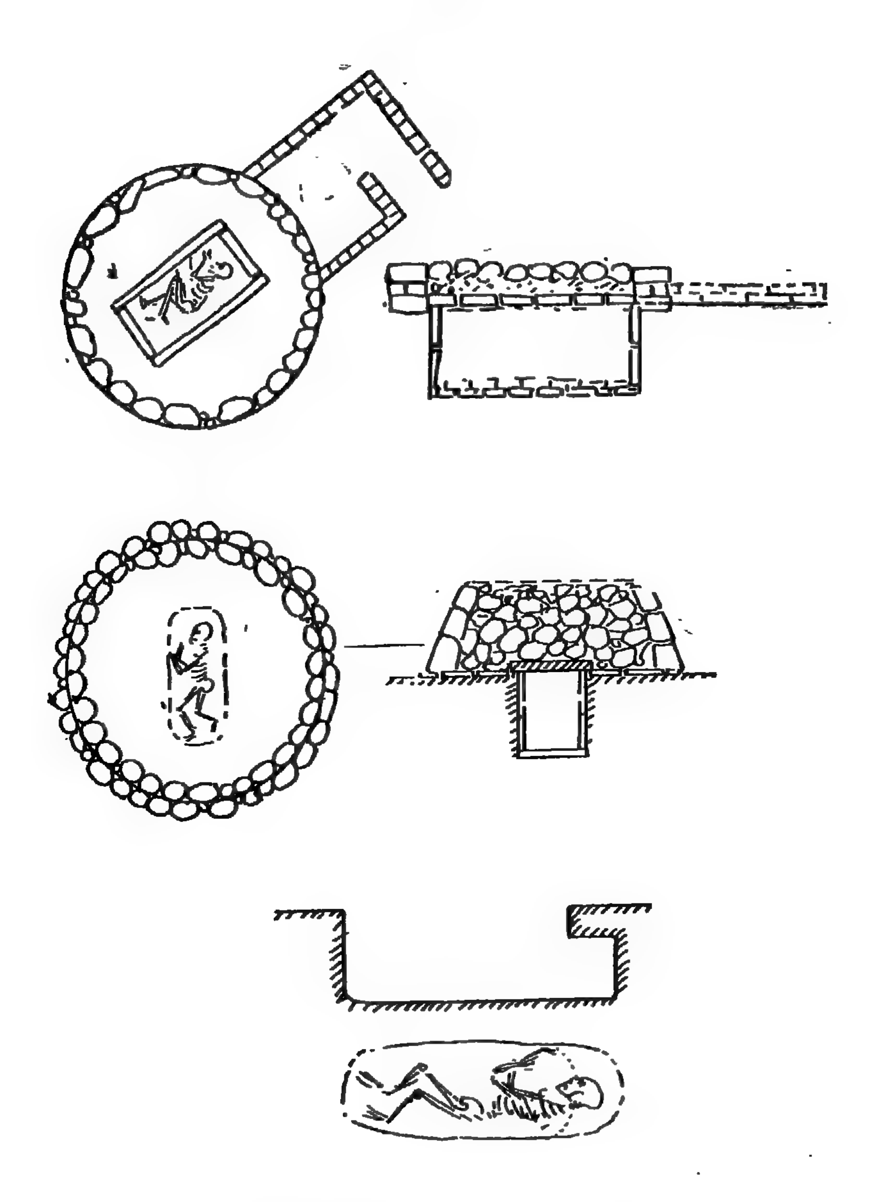
Virey, P. : La Tombe des Vignes à Thèbes, Rec. de Trav. XX, 1898, pp. 211-223, XXI, 1899, pp. 127-133, 137-149, XXII, 1900, pp. 83-97, Paris.

Wild, H. : Une danse Nubienne d'époque pharaonique, Kush VII, 1959.

Wreszinski, W. : Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte, Bd. 1-3, Leipzig 1923, 1935 und 1936.

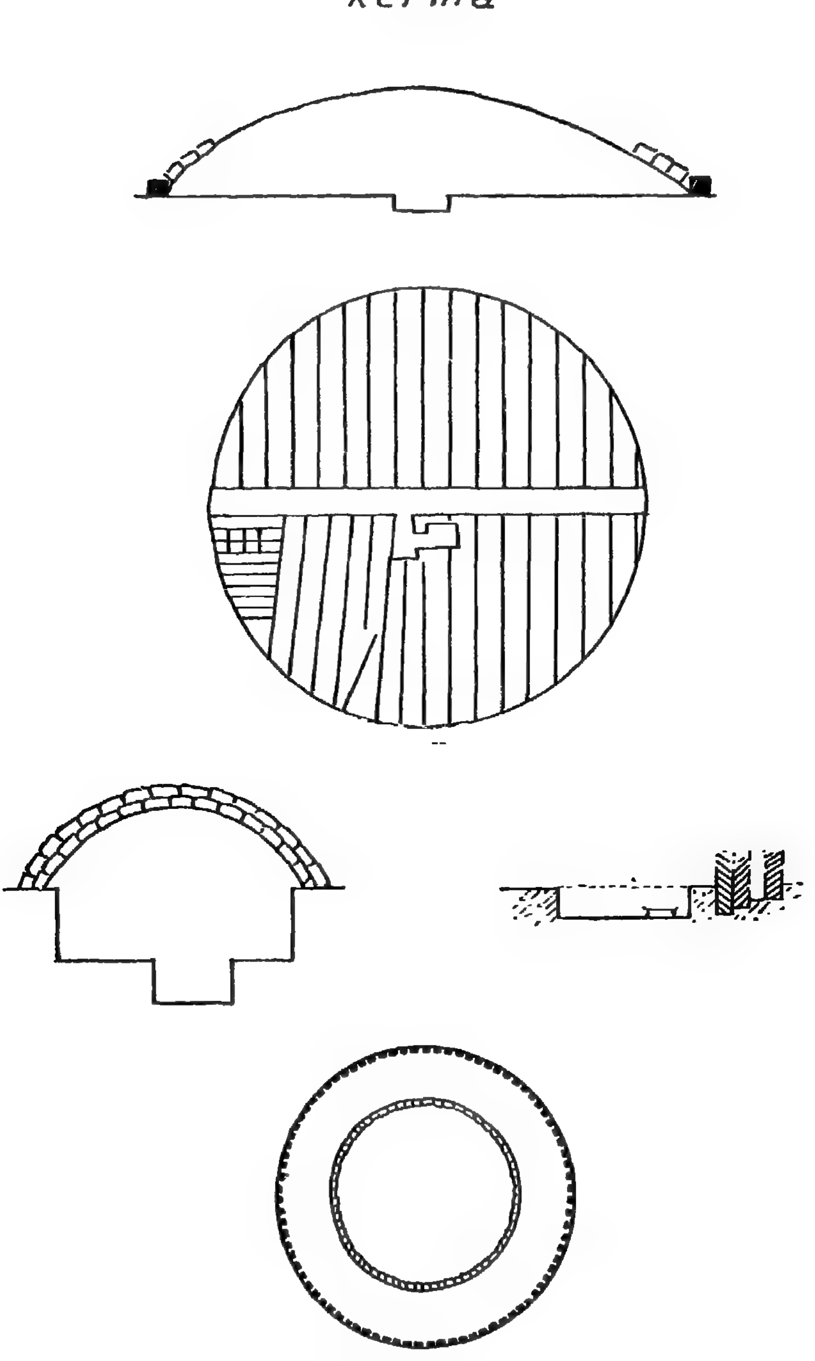
Zeissel, H.v. : Aethiopen und Assyrer in Aegypten, Aegyptol. Forschung, Muenchen, Beiträge zur Geschichte der ägyptischen Spätzeit. Glueckstadt 1955.

C. Group



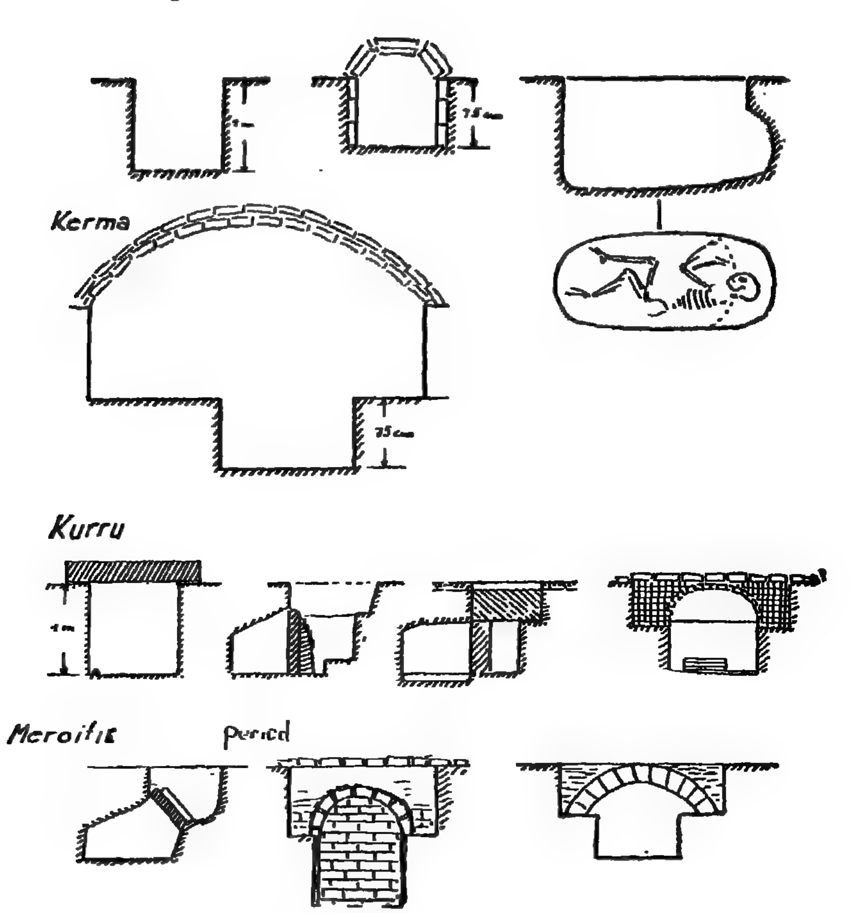
١ — حضارة المجموعة الثالثة — شكل القبر وطريقة الدفن

٢ — فخار المجموعة الثالثة



٣ — حضارة كرمه ـ شكل المقبرة وطريقة الدفن

C. Group



٤ — دراسة مقارنة للاجزاء الواقعة تحت سطح الأرض والمخصصة للدفن في كل حضارات السودان القديم : المجموعة الثالثة ـ كرمة ـ الكرو ـ العصر المروى .

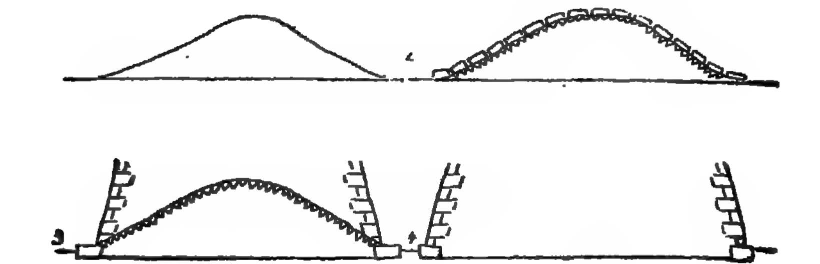
Typical culture-elements		C-Gr.	Kerma	N.K.	Ku.	Ku.-Nu.	Meroit.
Bed-burial		+	+	+	+	+	+
Animal sacrifices		+	+	+	−	+	+
Human-sacrifices		−	+	−	−	−	⁛
Earrings	(1)	+	−	−	−	−	−
	(2)	−	+	+	+	+	+
	(3)	−	−	+	+	+	+

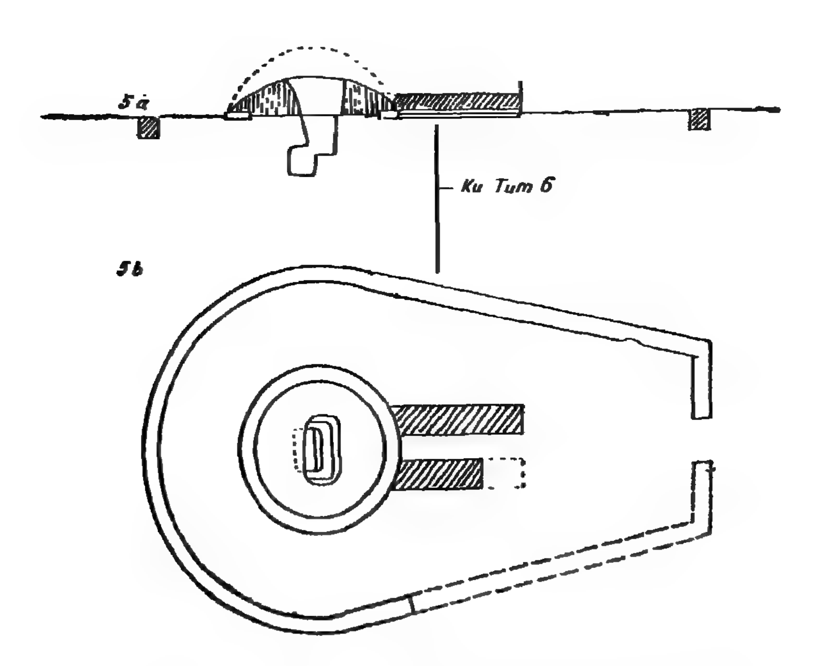
• — دراسة مقارنة للعناصر المحلية فى حضارات السودان القديم
ابتداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر المروى

Types of Burial	C-Gr. 1	C-Gr 2	C-Gr. 3	C-Gr 5	C-Gr. 6	Kerma	N.K.	Ku.	Ku-Nu 25 Dyn.	Meroit.
Forms of Superstructure										
	−	−	−	−	−	+	−	+	−	+
	−	−	+	+	+	−	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	+	−	+	+
Chapel										
	−	−	−	−	+	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−
	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+
Enclosure wall										
	−	−	−	−	−	+	−	−	−	+
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	+	+
Forms of burial chamber										
	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−
	−	−	−	−	−	−	−	+	−	+
	−	−	−	+	−	−	−	+	+	−
	−	−	−	−	+	−	−	−	−	+
	−	−	−	−	−	+	−	−	+	+

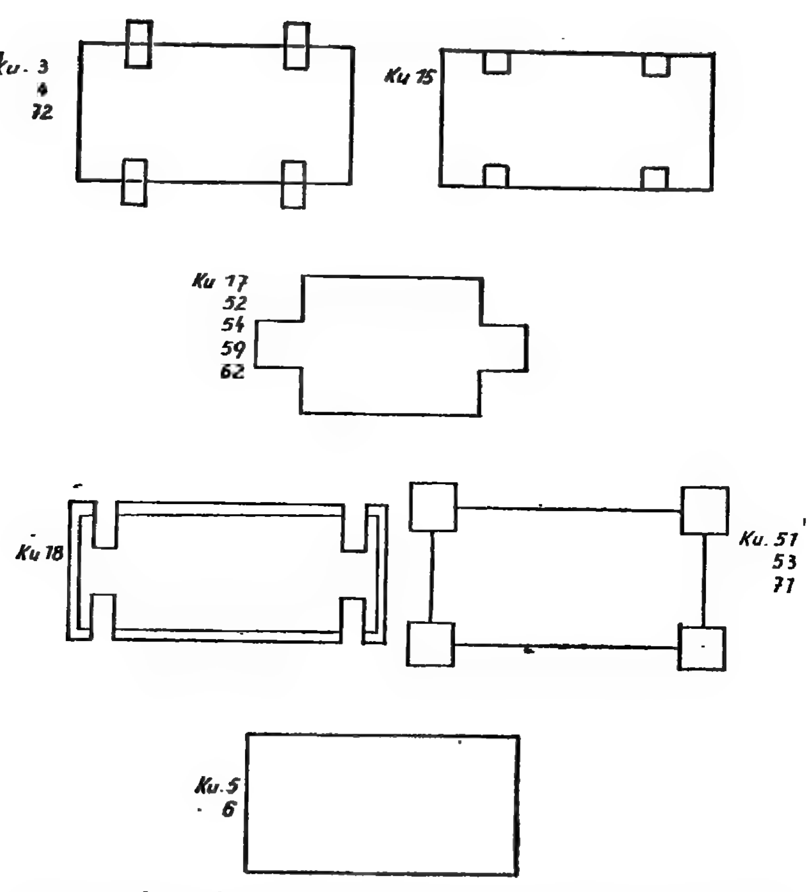
٦ — دراسة مقارنة لأشكال المقابر وملحقاتها فوق وتحت سطح الأرض لـكل حضارات السودان القديم ابتداء من حضارة المجموعة الثالثة حتى العصر المروى .وتبين مدى القرابة بين تلك الحضارات.

Kurru

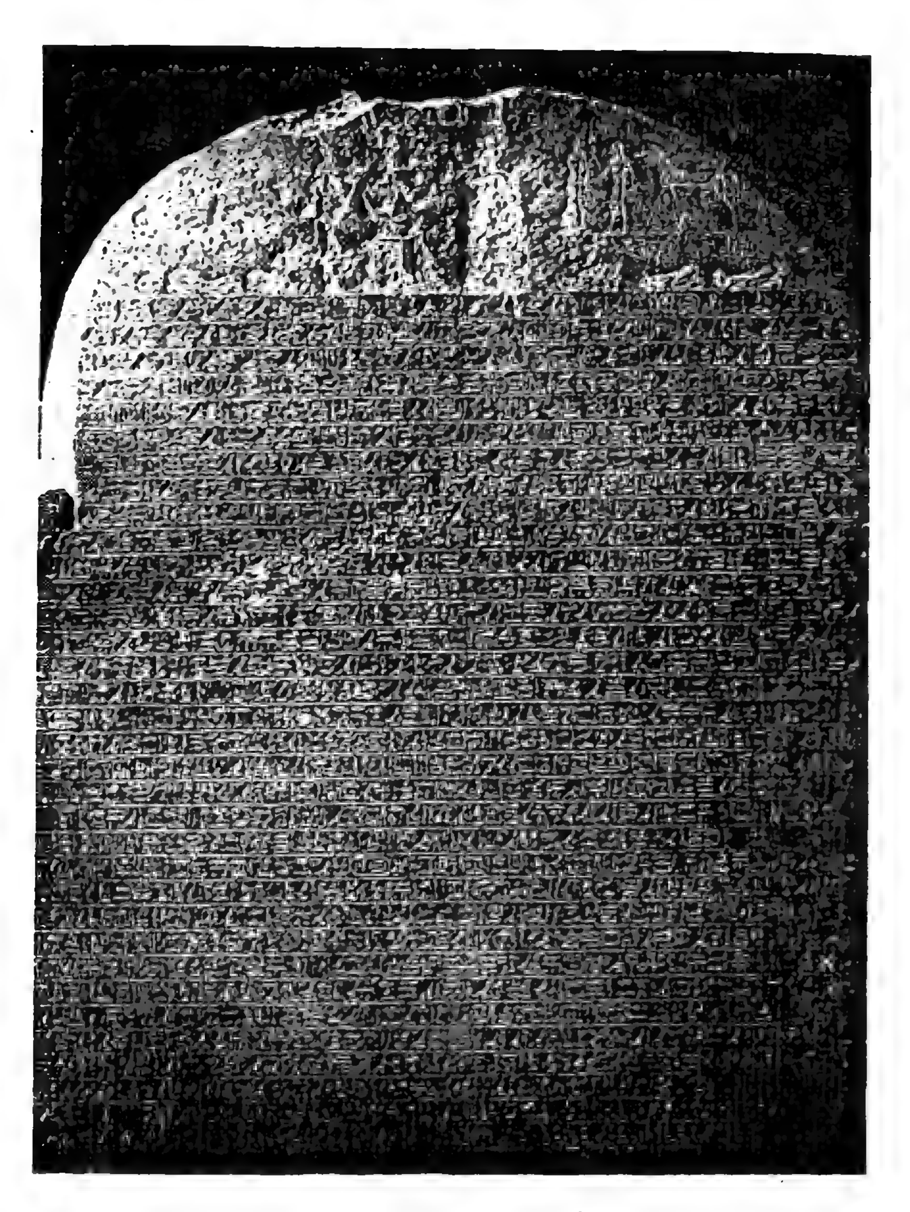




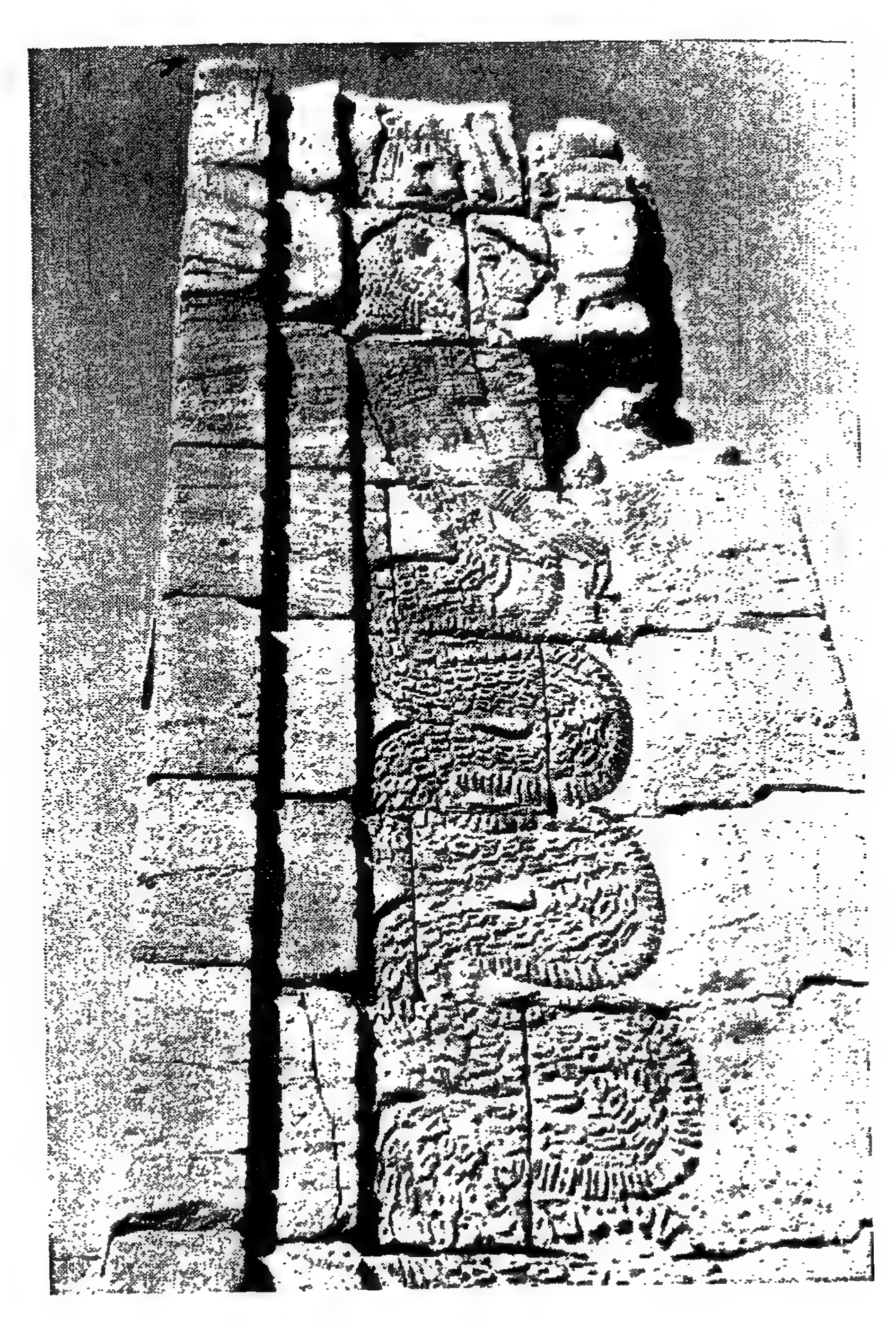
٧ — أقدم مقابر الكرو — الخاصة بأسلاف الأسرة الخامسة والعشرين — تطور شكل المقبرة من الكوم المستدير الى الهرم.



٨ — المكان المرتفع والمخصص لوضع سرير الدفن فى مقابر أفراد الأسرة الخامسة والعشرين . ويلاحظ الفراغات المخصصة لوضع سرير الدفن .

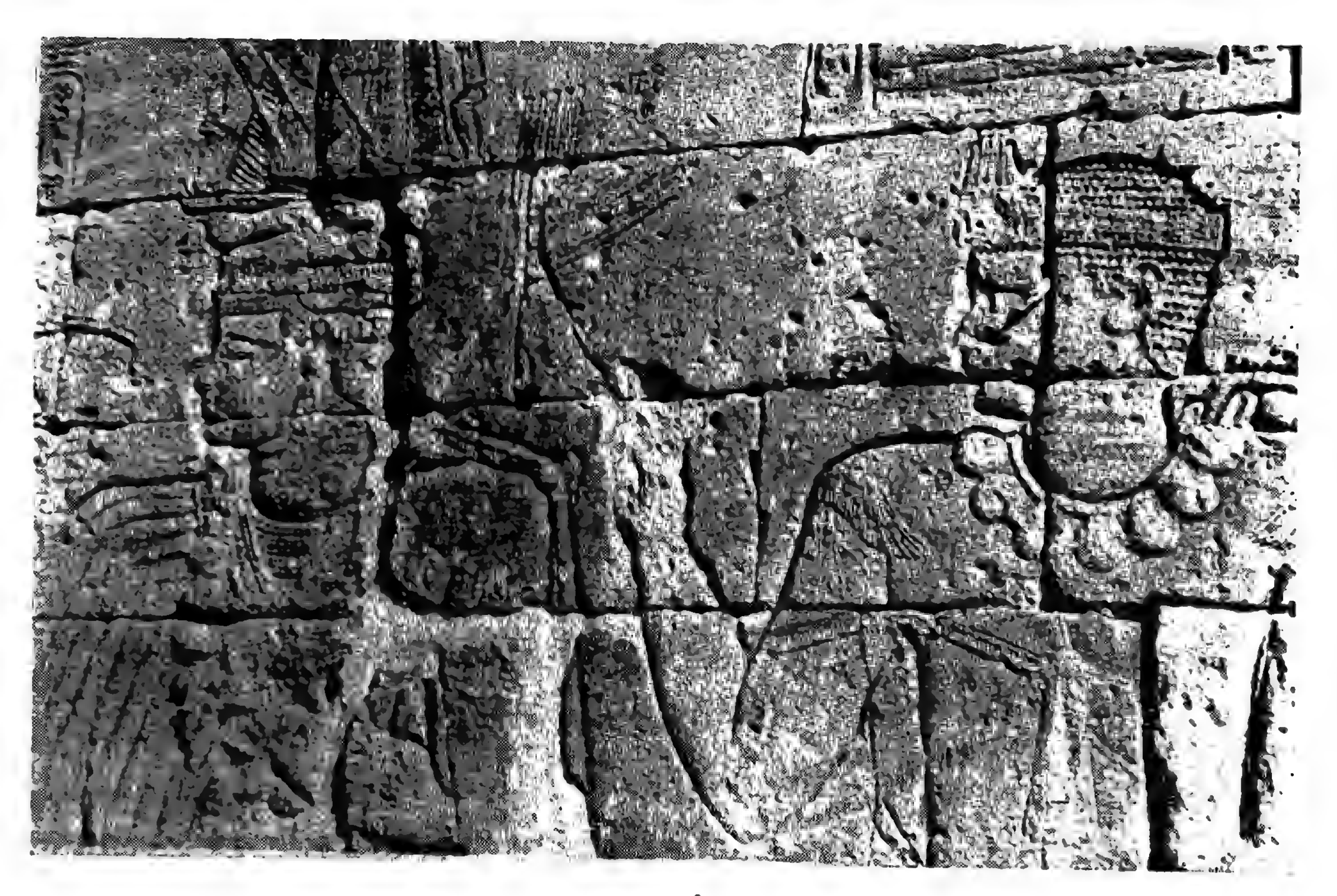


٩ — لوح الملك بعنخي (المتحف المصري)

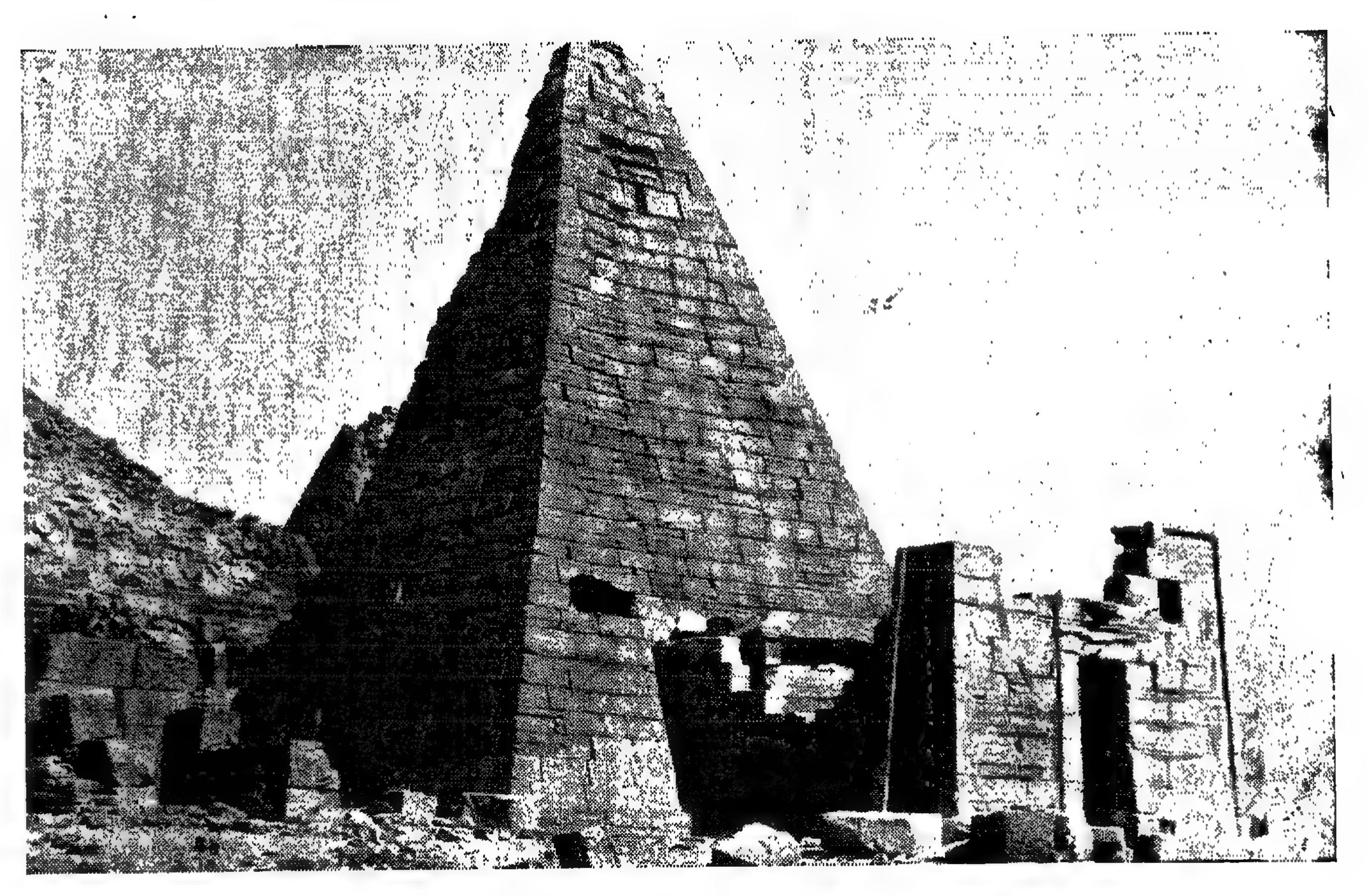


١٠ — معبد الأسد بالنقعة
صورة فريدة للمعبود المروى « أبدماك » (الأسد)

١١ — المعبد الصغير — بالنقعة



١٧ — الملك « نتك ـ أمانى » ومن خلفه ولى عهده — معبد النقعة



١٣ — أحد أهرامات مروى (بالبجراوية)

محتويات الكتاب

الفصل الخامس

أبحاث للمؤلف

1. Untersuchung Zur Herkunft der 25. Dynastie, Berlin 1962.
   بحث فى أصل الأسرة الخامسة والعشرين (بالألمانية)

2. "Drei Meroitische Opfertafeln aus Qustul" in Kush XII, 1964
   « ثلاث موائد مروية من قسطل » ، نشر علمى لبعض النصوص باللغة المروية ، فى مجلة آثار السودان Kush XII

3. "The Relationship between the C-Group, Kerma, Napatan and Meroitic Cultures", in Kush XIII 1965.

4. "Meroitische Inschriften aus der Umgebung von Aniba", in Kush XIV, 1966.
   = "Meroitic Inscriptions found near by Aniba" with English Summary.

5. "The Influence of the Ancient Egyptian Culture on Africa", International Conference "The Sudan in Africa" Feb. 1968.

6. "Die Muttersprache der Napatanischen Königsfamilie", International Congress of Orientalists at Ann Arborr August 1967 = اللغة المروية لغة ملوك نبتة

7. "Amon, der Herdenstier" تحت الطبع فى ZAS (نشر علمى لنصوص هيروغليفية على أحد التماثيل)

8. « العلاقات الحضارية بين السودان ومصر فى العالم القديم » تحت الطبع



